مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تعنى بالأبحاث والدراسات الأدبية واللغوية
تصدر عن كلية الآداب واللغات
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج - الجزائر

المجلد 08، العدد 02، جوان/جويلية 2022

ردمد: 2477-9792 ردمد إ: 2588-2422
رقم الإيداع القانوني: 342-2015

مجلة الآداب واللغات

مجلّة علميّة دوليّة محكمة نصف سنويّة

تعنى بالأبحاث والدّراسات الأدبيّة واللّغويّة

تصدر عن كلية الآداب واللغات

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

ر.د.م.د: 2477-9792 ر.ت.م.د إ: 2422-2588

رقم الإيداع: 2015/ 342

المجلد (08)، العدد(02) –جوان/ جويلية 2022

مجلة الآداب واللغات

مجلّة عليّة دوليّة محكمة نصف سنويّة

تعنى بالأبحاث والدّراسات الأدبيّة واللّغويّة

تصدر عن كلية الآداب واللغات

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

ر . د . م . د: 9792–2477 ر .ت. م. د إ: 2422–2588

رقم الإيداع: 2015 / 342

الرئيس الشرفي للمجلة: أ.د بوعزة بو ضرساية مدير الجامعة

مديـــر المجلة : د. بوعلام رزيق عميد كلية الآداب واللغات

رئيس التحرير : أ.د. رابح بن خوية

نائب رئيس التحرير : د. جمعة بن سالم

سكرتير التحرير: د. سليم سعدلي

هيئة التحرير

أد. رابح بن خوية	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. بوعلام رزيق	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. البشير عزوزي	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. ياسين بغورة	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. صالح قسيس	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. سليم سعدلي	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
د. جمعة بن سالم	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
أ.د. عبد الغني بن الشيخ	جامعة	المسيلة	الجزائر
أ.د أحمد ويس	جامعة	البحرين	البحرين
أد. عز الدين جلاوجي	جامعة	برج بوعريريج	الجزائر
أ.د. فيصل حصيد	جامعة	باتنة1	الجزائر
أ.د. محمد جواد البدراني	جامعة	البصرة	العراق

اللجنـــة العلميــة

أد. رابح بن خوية جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. بوعلام رزيق جامعة برج بوعريريج الجزائر

د.ياسين بغورة جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. البشير عزوزي برج بوعريريج الجزائر

د. جمعة بن سالم جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. سليم سعدلي جامعة برج بوعريريج الجزائر

د.صالح قسيس جامعة برج بوعريريج الجزائر

أ.د. فيصل حصيد جامعة باتنة1 الجزائر

أ.د. عبد الغني بن الشيخ جامعة المسيلة الجزائر

أ.د أحمد ويس جامعة البحري البحرين

أد. غزلان هاشمي جامعة سوق أهراس الجزائر

أد. نبيل بو السليو جامعة سكيكدة الجزائر

د. عزوز زرقان جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. ناصر معماش جامعة برج بوعريريج الجزائر

د.عبد الكريم بن محمد برج بوعريريج الجزائر

أد.سليمان بوراس جامعة المسيلة الجزائر

أ.د. منصور بوناب عبد الحق سكيكدة الجزائر

أ.د. عزوز قربوع جامعة سكيكدة الجزائر

أد. عز الدين جلاوجي جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. نبيلة منادي جامعة سطيف الجزائر

أد. شكري السعدي جامعة تونس تونس

د. أروى نجار جامعة برج بوعريريج الجزائر

د. كلثوم صوالح جامعة برج بوعريريج الجزائر

أ.د. محمد جواد البدراني جامعة البصرة العراق

أ.د. عبد الرحمن بن يطو جامعة المسيلة الجزائر

أ.د. الخامسة علاوي جامعة قسنطينة الجزائر

د. حسن دواس جامعة سكيكدة الجزائر

د.فطيمة براهمي سيدي بلعباس الجزائر

د. زهور شتوح باتنة1 الجزائر

د. فاطمة الزهراء عاشور برج بوعريريج الجزائر

أ.د.محمد مدور جامعة غرداية الجزائر

أ.د. علوي نسيمة جامعة سكيكدة الجزائر

د.راضية شراك جامعة بريكة الجزائر

د.نادية بوحديد جامعة باتنة الجزائر

د.السيدة الحرابي جامعة تونس الجزائر

د. سكينة زواغي جامعة عنابة الجزائر

د. موفق عبد السميع برج بوعريريج الجزائر

د. عيسى بربار برج بوعريريج الجزائر

أ.د بلقاسم ذوادي جامعة برج بوعريريج الجزائر

أ.د عبد القادر فيدوح جامعة قطر قطر

أ.د فقيه جيهان الجامعة اللبنانية لبنان

أ.د. دونيس لوقروس باريس 8 فرنسا

أد محمد علي الرباوي جامعة وجدة المغرب

أ.د نعمان بوقرة جامعة أم القرى السعودية

أ.د عبد الرحيم الهيبل جامعة القدس فلسطين

أ.د سالمة العمامي جامعة طبرق ليبيا

شروط النشر في المجلة

1. مجلة الآداب واللغات هي مجلة نصف سنوية :تصدر كل ستة أشهر، ذات لجنة قراءة، متاحة للاطلاع الحر. تستقبل المقالات المرسلة إليها باللغات العربية، الفرنسية أو الإنجليزية، وتقوم بنشرها مجانيا.
2. يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

- أن يكون المقال أصيلا وجديدا، لم يسبق نشره في نشريات أخرى مهما كانت، ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي. وألاّ يكون مستلا من رسالة أكاديمية (ماجستير أو دكتوراه).
- أن يلتزم الباحث بالمنهجية العلمية المتعارف عليها في كتابة البحوث والدراسات العلمية، وبالموضوعية العلمية في طرح إشكالية البحث وعناصرها، ويتبنى النقد العلمي في طرح القضايا والأفكار ومناقشتها.
- أن يعتمد منهجية موحدة في ترتيب عناصر البحث والالتزام باعتماد التقسيم المعلن في القالب.
- ألا يقل المقال عن 6000 كلمة ولا يزيد عن 10000كلمة، بما فيها المصادر، الهوامش، الجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.
- أن يكتب الباحث ملخصا باللغات الثلاث (العربية، الفرنسية، الانجليزية)، يتضمن عرضا موجزا مركزا لموضوع البحث وإشكاليته وهدفه ومنهجه ونتائجه، على ألا يكون فقرة مجتزأة من مقدمة المقال أو غيره.
- هوامش الصفحة تكون كما يلي: يمين 2 سم، يسار 2سم، رأس الورقة 1.5سم، أسفل الورقة 2 سم، حجم الصفحة 16/ 24 سم.

تكتب المادّة العلمية العربية بخطّ من نوع Simplified Arabic مقاسة 14بمسافة 20 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 15 **Gras**، أمّا الفرنسية أو الإنجليزية فتقدّم بخطّ من نوع Times New Romanمقاسة 12.

- تتحفظ المجلة عن نشر مقالين لمؤلف واحد في العدد ذاته أو في الأعداد المتتالية لنفس السنة.
- يتضمن البحث:

-**مقدمة**: لا تقل عن 500 كلمة تتضمن تعريف موضوع البحث وتحديد إشكاليته، وبيان أهدافه والدراسات السابقة، ومنهجه وعناصره.

-**متن البحث**: يقسم إلى عناصر مرتبة ترتيبا منهجيا منطقيا، يُدَل عليها بعناوين رئيسة وأخرى فرعية.

-**خاتمة**: لا تقل عن 300 كلمة، يذكر فيها الباحث النتائج التي خلص إليها، والإجابة عن أسئلة البحث، والتوصيات التي تستشرف آفاق بحثه.

- يراعى عند كتابة المقال ما يلي:

– أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.

-الالتزام بقواعد ضبط الكتابة من خلال:

-احترام مسافة بداية الفقرات، وتجنب الفقرات والجمل الطويلة جدا.

-عدم ترك مسافة (فراغ) قبل علامات الضبط المنفردة كالنقطة (.) والفاصلة (،) والفاصلة المنقوطة (؛) والنقطتين (:) وعلامة التعجب (!) وعلامة الاستفهام(؟) وترك مسافة بعدها إذا أُتبعت بكلمة أو نص، وعدم ترك مسافة بعد الواو (و) التي تليها كلمة.

-يُذكر مرة واحدة في البحث المصطلح العلمي وأسماء الأعلام باللغة العربية وبجانبه المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية عند وروده أول مرة، ويُكتفى بعد ذلك بكتابته باللغة العربية.

-يراعى في الأعمال المتضمنة: آيات قرآنية كريمة، نصوص شعرية، أسماء أعلام، ضبطها بالشّكل وتخريج الأحاديث والأبيات الشعرية.

-أن توضع الهوامش والإحالات في آخر المقالب طريقة الإدراج الآلي، مع إدراج قائمة بيبليوغرافية بالترتيب الهجائي.

3. بعد إقرار مطابقة المقال لقواعد النشر:

أ. يرسل إلى خبيرين متخصصين، وتحوّل حوصلة ملاحظاتهما للمؤلف.

ب. في حالة تعارض الخبرتين يحال المقال إلى خبير ثالث.

ت. عند قبول نشر المقال يتعين على المؤلف إمضاء عقد النشر.

ث. وفي حالة عدم قبول المقال، يتم إعلام المؤلف بقرار هيئة التحرير.

4. لا تسلم شهادة قبول النشر إلا بموافقة هيئة التحرير النهائية على نشر المقال.

5. لا يسمح بإعادة نشر مقالات المجلة إلا بموافقة هيئة التحرير.

6. تخصص المجلة:

تستقبل المجلة كل المقالات والأبحاث في:

-قضايا الآداب واللغات.

-النظريات اللغوية ، الأدبية والنقدية.

-باللغات: العربية، الانجليزية، والفرنسية.

ترسل المساهمات عبر البوابة الإلكترونية للمجلات:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/94

المراسلات :

رئيس تحرير مجلة الآداب واللغات

كلية الآداب واللغات، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

العناصر 34030 الجزائر

هاتف / فاكس :

00213(0) 35862175

البريد الإلكتروني:***revuefll.bba@gmail.com***

فهرس المحتويات

افتتاحية	08
الأصول التداولية في النحو العربي سليم قزعوط، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، الجزائر	21_09
سمات التداولية المدمجة في تفسيرات فاضل صالح السامرائي بلال بوزيان ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، الجزائر	36_22
دلالة الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنصل القرآني سليم مزهود، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف– ميلة ، الجزائر	56_37
محامد الحداثة ومآخذها في الشعر الجزائري المعاصر حقبة السبعينيات أنموذجا كمال لعور جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف، الجزائر	79_57
الرُّؤى الجماليّة في أعاريب أعلام المفسّرين مُيسّر عُذيمان السّاري كلّية الآداب ، وكلية التّربية – الحسكة، سوريا	101_80

افتتاحية العدد

تحية طيبة، وبعد

ها نحن نقدم للقارئ العدد الثاني من المجلد الثامن من مجلة الآداب واللغات ، الذي صدر بعنوان جوان/ جويلية 2022، وقد تضمن مقالات وأبحاثا تعالج قضايا لغوية وأدبية مختلفة؛ كالتداولية والدلالة والحداثة والشعر والجماليات.

وتعد المجلة بنشر المقالات والأبحاث التي وصلت إلى بريد المجلة في أعدادها المقبلة، بعد انتهاء إجراءات التحكيم والمراجعة .

كما تدعو المجلة إلى احترام قواعد النشر في المجلة المعلن عنها تفاديا لرفض المقالات. وتدعو الباحثين إلى المشاركة في المجلة من خلال أبحاثهم ومقالاتهم المتوافقة وتخصصات المجلة.

ونعلم القراء الكرام أن كل أعداد المجلة متاحة على المنصة من خلال الرابط:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/94

نجدد الشكر دائما لمن أسهم في صدور هذا العدد. من خبراء وباحثين.. وإلى الملتقى مع العدد القادم.

هيئة التحرير

مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022،ص.ص09-21

الأصول التداولية في النحو العربي

Deliberative assets in Arabic grammar

سليم قزعوط1*

1 جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–*salimgazaout@gmail.com*

تاريخ الإرسال:2021/05/30 تاريخ القبول:2021/04/21 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تناقش موضوع التداولية باعتبارها اتجاها لسانيا متعدد الأبعاد وثري المجالات، كونها تسعى إلى تحليل النصوص وفق ما يخدم الجانب الاستعمالي للغة ويركز على وظيفية اللغة وذلك بإحداث التفاعل بين عناصر الخطاب –المخاطِب والمخاطَب والخطاب– وفق عناصر سياقية مختلفة تحيط بعملية إنجاز الخطاب وأدائه، كما تسعى الدراسة إلى البحث في الجذور التداولية للنحو العربي، كان ذلك بإمعان النظر في دراسات المتقدمين من النحاة حتى نضع بين أيدينا القواسم المشتركة بين النحو والتداولية، من ذلك اهتمام النحاة بالسياق ودوره في الكشف عن المعاني أضف إلى ذلك اشتراط القصدية في الخطاب حتى تتحقق الغاية منه.

الكلمات المفتاحية: التداولية، النحو، الخطاب، السياق، القصدية.

Abstract :

this study tries to discuss circulation as a linguistic trend Rich of fields, as they to diagnose texts according to what Serve the functional use of language, focusing on the function of the language by making the interaction between the segments of speech: the speech, the address (the audience) according to different segments of context which involve the making of the speech, as well the functionality of the speech. this study tries to research into the roots of grammatical circulation of Arabic grammar which was by focused glans of the studies of advanced sculptors to put our hands commonalities Between grammar and circulation, of which the interest of sculptors on context role in the revealing meaning. Besides, the use poetry in speeches to achieve its goals.

---

*المؤلف المرسل.

***Keywords**: circulation, grammar, speech, context, poetry*

مقدمة:

تعدّ التداولية من المواضيع الشائكة والغامضة التي بلغ الإبهام فيها مبلغه، ولعلّ ذلك راجع لارتباطها بكثير من المفاهيم والمصطلحات اللسانية في العصر الحديث.

أما ما لمّ شتاتها وجمع شملها كونها مجموعة من النظريات اللسانية التي تأسّست باختلاف المنطلقات ومتساوية من حيث اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدّد الأبعاد أو تلك الشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال الكلام ومقتضيات المواقف الخاصة أي العلاقة بين النص والسيّاق، وهذا ما يؤسّس العلاقة التي تجمع بين التداولية والدلالة من جهة والتداولية والنحو من جهة أخرى؛ إذ يجمع بين ذلك السيّاق المباشر ممّا يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والتداولية.

لا شكّ أن التداولية تقترب نوعا من المقولة السائدة في أوساط الساحة البلاغية الموسومة بمقتضى الحال وخرجت من رحم المقولة الشهيرة – لكل مقام مقال– ولا يخفى علينا أن النحاة لهم الدور الحاسم في التأسيس للبلاغة العربية لذلك تحسّسوا الملمح التداولي في دراساتهم ومؤلفاتهم قبل أن تتأسّس التداولية وتستوي علما قائما بذاته يقوم بتحليل الظواهر والعلاقات النحوية المتنوعة تحليلا يختلف بمصطلحاته عن مصطلحات علم النحو.

لم يكن النحو العربي– باعتباره مستوى من مستويات اللغة يهتم بالتركيب– مستقلا عن أحوال الاستعمال المختلفة بل قدّم النحاة مسائل مرتبطة بالمتكلم ممّا يظهر أثره على البنية ذاتها ويحدد موقفه في الإعراب، وفي التمييز بين القول والكلام كما تناول النحاة أيضا ما يتعلق بالمخاطب نحو فائدة

الكلام التي يجعلها النحاة موصولة بالسامع وما يحصّله من منفعة وسكوته عن المعنى.

1-الاتجاه التداولي في اللسانيات:

يعود الاتجاه التداولي -باعتباره آخر البحوث المستجدة في اللسانيات الحديثة في الجهود التي قدمها بيرس في القرن التاسع عشر حيث صاغه بـ: *Pragmatisme*، ورتب مفاهيمه وأفكاره وليم جيمس، ومفاد ذلك أن "قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها مع الواقع، وصياغتها عمليا ثم سرعان ما صارت هذه السمة مميزة للثقافة الأمريكية الحديثة بشكل عام"[1]، حيث جاءت هذه الأفكار لتقضي على ما يمكن أن نطلق عليه مادية الفعل وواقعه، وتصوّب الاهتمام حول ما يعيد الاعتبار للجانب التواصلي والاستخدام الفعلي الذي يعتبر مرآة عاكسة للبنية التركيبية للغة حيث ركز هذا البحث على إقامة علاقة بين اللغة باعتبارها نظاما اجتماعيا، ومستخدميها الذين يخضعون إلى هذا النظام، ذلك أن الهدف من الدراسة الفعلية للغة لا يمكن بأي حال أن تحصر في مجال معين من مجالاتها كالنحو والمعاني على سبيل التمثيل؛ بل كل العناصر تساهم بشكل ملفت للنظر في عملية الإبلاغ والاتصال، ولعل كل هذا راجع إلى ما أفادته اللسانيات السوسيرية التي تعتبر انبعاثا جديدا وتطورا ملحوظا في ظل المناهج المختلفة؛ ذلك أنها انتقلت من علم اللغة الذي يخلص للنظام اللغوي من سوسير إلى تشومسكي إلى علم لغة يركز على التوجه التواصلي والوظيفي، ولهذا التحول أسباب يمكن أن تدرج في[2]:

- تعدد الحاجات والمصطلحات الاجتماعية مما أدى إلى ضرورة تحديد حد لعلم اللغة في المجتمع.
- ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوية تحتاج إلى معالجة جديدة تتجاوز الإخلاص إلى النظام اللغوي نحو التوثيق والترجمة.
- المعالجة الآلية للمادة اللغوية.

- تعليم اللغة الترجمة التوجيه اللغوي والعلاج باللغة.
- تأثير اللغة في الاتصال اليومي.

وفي أصل التأمل في هذه الأسباب التي كانت مدعاة إلى ظهور الاتجاه التداولي يمكن أن نخلص إلى أن "فهم التحول البراغماتي في علم اللغة يعكس حاجات مجتمعية متغيرة، مهمته اجتماعية بوجه عام"[3].

2-مفهوم التداولية:

من الصعوبة أن تجمع آراء اللسانيين والباحثين لتشكل لنا تعريفا شافيا ووافيا للتداولية لأن الفكر التداولي نراه شائكا لسعة مجاله في المنظومة الفكرية الحديثة، ولعل الأسباب التي ساقت التداولية إلى هذا الإبهام وأوحلته فيه؛ ذلك أن مفهومها تتجاذبه مصادر معرفية عديدة، فعدت التداولية "ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها"[4]، ولا يكاد يعرف مفهوم التداولية استقرارا، ولعل ذلك راجع لنشأتها والمراحل التي مرت بها، أضف إلى ذلك تداخلها مع علوم أخرى مما جعل مجالها ثريا وواضحا وعسيرا[5]، وذلك يؤكد مانقونو أثناء حديثه عن التداولية لأن هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة تتقاسم عددا من الأفكار، واللسانيون ليسوا وحدهم معنيين بالتداولية بل هي من نصيب الكثيرين ممن اشتغلوا بعلم الاجتماع والذين حذقوا في المنطق وتتجاوز اهتمامها بمجموع الأفكار التي تتعلق بالمعنى والتواصل وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرة عامة للنشاط الإنساني[6] لتكون بذلك موضوعا يتجاذبه كل من المناطقة والسيميائيين والفلاسفة السوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل واللسانيين؛ ذلك أن اعتبارها موضوعا قابلا للتحليل لا يمكن أن يدرج في أي مستوى من المستويات، ولا تدرس جانبا محددا في اللغة بل تستوعبها جميعا وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية[7].

3-إشكالية ترجمة المصطلح:

لم يكن الغموض يكتنف مجال التداولية واهتمامها بل تجاوز ذلك إلى إيجاد مصطلح يجمع لها مقولاتها ومجالاتها[8] حيث كثرت التسميات العربية الموازية لمصطلح *pragmatique*، فنجد البراغماتية والبراغماتيك والبراجماتية والبراجماتيك، ونكاد نجد اختلافا بين هذه المصطلحات لأنها لا تعدو كونها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل أيضا التداولية والمقامية الوظيفية، السياقية الذرائعية، النفعية، وإن كانت هذه الترجمات تقترب من مفهوم التداولية إلا أنها لا تحمل المعنى الدقيق لأن هذه المصطلحات تختلف فيما بينها في الدرس العربي؛ ذلك أن السياق ليس هو المقام والمقام ليس هو الوظيفة وهكذا دواليك.

ولعل عدم اتفاق الدارسين العرب المحدثين على مصطلح واحد يحمل مفهوم التداولية هو عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد.

4-تعريفات تصب في حقل التفكير التداولي:

تعريف تشارلز موريس: اعتبر تشارلز موريس التداولية جزءا من السيميائية وأحد مكوناتها، تدرس العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب وتحديدا لما يترتب عن هذه العلامات قام بشرح أبعاد السيميائية الثلاثة:

1- علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها،[9] وذلك بعد دلالي يهتم بعلم الدلالة.

2- علاقة العلامات بالناطقين بها وبالمتلقي وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها وذلك هو البعد التداولي[10].

3- إن علاقة العلامات فيما بينها هو المجال الذي يميز الاتجاه الذي استأنفه الدارسون ووسعوه إلى ما هو عليه اليوم[11] ومما يلاحظ في هذا

التعريف الاهتمام بالبعد الدلالي والتركيز عليه واعتباره المصدر الأول للدراسة لأنه يرتبط بطبيعة العلامة وما يرصده البعد التداولي؛ ذلك أن العلامات اللغوية في التركيب لها من الأبعاد الدلالية التي تتمظهر وفق السياق والمجال الاستعمالي ما يثري قيمتها ويوسع مجالها باعتبارها الأداة المتداولة بين المخاطِب والمخاطَب.

5-تعريف يرتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها:

تنطلق هذه التعريفات من مبدأ أن اللسانيات الحديثة ساوت بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام خلافا لموضوعها المحدد في اللغة -تجلى ذلك في المحاضرات التي قدّمها سوسير حيث وجهت اهتمامها للخطاب باعتباره إنتاجا لغويا منظورا إليه في علاقته بظروفه المقامية والوظيفية التواصلية التي يؤديها[12]، وتجمع إلى أن التداولية في عمومها تهتم بجميع شروط الخطاب وتعتمد أسلوبا ما في فهمه وإدراكه بكيفية استخدام اللغة وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستعمال[13]، وإن من شروط فهم الخطاب الإحاطة بأسيقة الحال التي يؤدي فيها المتكلمون خطاباتهم، فاهتمامها ينصب أساسا على المتكلم انطلاقا من سياق الملفوظات التي يؤديها إلى جانب تعليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها في عملية الاتصال[14] لذلك نجد من اللسانيين والباحثين من أطلق على التداولية مصطلح لسانيات الاستعمال اللغوي؛ ذلك أن موضوعها توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي للغة، ويشمل مصطلح التداولية في هذا الحقل:

- مجموع البحوث المنطقية واللسانية التي قدمت في دراسة استعمال اللغة ومطابقة التعبيرات الرمزية للسياق الوضعي للفعل والعلاقة بين المتخاطبين:
- دراسة استعمال اللغة في الخطاب والآثار التي تثبت ذلك.

- دراسة اللغة بعدّها ظاهرة تواصلية (استعمالية) اجتماعية خطابية حجاجية.

6-التواصل والأداء في الاتجاه التداولي:

إن التداولية تقوم على دراسة استعمال اللغة، فاهتمامها ينحصر في دراسة العلاقة بين المتكلم والسامع بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعملية الاتصال والتفاعل، ومما يجب أن يشار إليه أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستغني عن علمي اللغة النفسي والاجتماعي كما أنها تعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية وأفعال كلامية وقواعدها بالنسبة إلى السياق، ويتلخص ذلك في دراسة العلاقة بين المتلفظ والمخاطب[15]، فموضوعها التواصل البشري الذي يعتمد على دراسة المقام والشروط الأساسية لأداء الحديث.

كما أنها تبحث في مقاصد المتكلم وأغراض كلامه؛ ذلك أن مقصدية المتكلم لا تستسقى من البنية التركيبية فحسب بل تأخذ حظا من الجانب السياقي، فقد يكون المعنى بعيدا عما يصدره المتكلم من أفعال كلامية فعلى السامع إدراك ذلك كأن يقول من سافر سفرا طويلا: إني متعب فمعنى المتكلم: توقف لنستريح قليلا، ونجد ذلك كثيرا في القرآن الكريم على حسب ما أقر به الأصوليون، فقد يرد الأمر بصيغة الخبر كقوله تعالى: " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء"[16]، فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها بثلاثة قروء[17]، يظهر ذلك جليا في قوله تعالى: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"[18]، فالخبر في هذه الآية يفهم منه الأمر[19]، وعليه يجب أن نولي أهمية للسامع وما يمكن أن يحققه في ترجمة قصد المتكلم ذلك أن العملية التواصلية والأداء الفعلي للكلام ينتهي إليه، كما أنه عليه أن يدرك ذلك القصد لنجاح العلمية التواصلية وتفعيل الأداء الكلامي؛ ذلك أن التداولية "تشرح

وضعية التواصل وسياقه وتفتح أبواب دراسة ما لم يقل ودراسة المعنى الضمني في الحديث"[20].

7-النحو العربي بين الفكر التراثي والاستعمال اللغوي:

لا يخفى علينا أن النحو العربي باعتباره منهجا دقيقا يشهد على براعة النحاة في استنطاق أصول العربية وكشف أسرارها قد تناول خصائص التركيب اللغوي، كان ذلك باستنباط الأحكام والقواعد من استقراء المدونة العربية الفصيحة، كما أنه تناول مسائل ذات علاقة بعناصر الاتصال والتي تؤصل لما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالتداولية، ولعل هذه الإرهاصات قد مسّت عناصر الرسالة الثلاث (المتكلم والسامع والخطاب ذاته)، فالمتكلم يعزى إليه تلفظ الخطاب؛ ذلك أن الخطاب هو الموضوع المتبادل بين طرف الخطاب، والسامع متلقي الخطاب، والمتدبر في النحو العربي القديم يلتمس أن اهتمامه لم يكن منصبا على دراسة التركيب اللغوي بقدر ما يجنح إلى دراسة أحوال الاستعمال اللغوي المختلفة، فلا شك أنه اهتم بمسائل ارتبطت بالمتكلم باعتباره منتجا للخطاب؛ ذلك أن اللغة موضوع النحو تقوم على مفاهيم الاستعمال والتداول باعتبارها أداة للتواصل والإبلاغ عن المعاني يقول حازم القرطاجني: "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى بعضهم وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها، وجب أن المتكلم يبتغي إفادة المخاطب أو الاستفادة منه"[21]، فالدور الأساسي التي تقدمه اللغة أن تحمل فائدة إلى سامع أو تستفيد منه، فليست بنى وتراكيب مستقلة بذاتها بقدر ما هي ترجمان يقوم على الفعل الحي والأداء التواصلي، وقد قدّم لنا عبد القاهر الجرجاني الفائدة التي تتستّر وراء التراكيب النحوية، ومفاد ذلك أن "النحو الذي يعنى بالإعراب ومشاكله من المسائل اللفظية لا يمكن أن يعد نحوا بل النحو هو الوصف الذي يجاوز رصد

الخصائص اللفظية إلى رصد العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى باعتباره المعنى المجموع الوسائط والتي تتفاعل في تحديد الصورة التركيبية للجملة"[22].

إن الفكر النحوي القديم الذي جاء به عبد القاهر الجرجاني يعيد الاعتبار للمعنى، فلم يعد محصورا في الجانب الشكلي الذي موضوعه الإعراب بل ينظر في البنية ذاتها، وما يمكن أن تؤديه من وظيفة وأغراض كلامية في الواقع الاستعمالي. وما أثرى الدرس النحوي في الفكر الجرجاني كونه نحوا وظيفيا قائما على الوظيفة التواصلية باعتباره قائما على مبدأ ضرورة الربط بين اللغة والوظيفة التي تؤديها في التواصل[23].

8-الوظيفة التداولية للمتكلم في النحو العربي:

لقد أولى الدرس النحوي القديم بأصوله ومناهجه المتكلم بالغ الأهمية حيث شكّلت نظرية العامل في الميدان النحوي صرحا شامخا فسّر لنا ظواهر الإعراب، ولا شك أن العامل –على حد تفكير النحاة القدامى– يعود إلى المتكلم الذي يحدث الإعراب الذي هو أثر معين يحدث في الكلمة على نحو مطرد في وجود كلمة أخرى، فبعض الكلمات يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا حيث يستلزم بعضها وجود الآخر ويعلق بعضها ببعض لأن العلاقة بين أجزاء الجملة علاقة تأثير وتأثر، كما أنه لكل مبتدأ خبر ولكل فعل فاعل، فهذا الاستلزام الضروري القائم بين أجزاء التركيب يفسر لنا جوانب من الإعراب الذي يحدثه العامل.

العامل عند الجرجاني:

يعرف الجرجاني العامل بأنه "هو ما أوجب كون الكلمة مرفوعا أو منصوبا أو مجزوما أو ساكنا"[24] ويعرفه الشريف الرضي بقوله: "ما يتقوم به المعنى المقتضى"[25]، فالإعراب مفسر للمعاني التي يريدها المتكلم، وإذا أردنا أن نقيم دراسة توزان بين النحو والتداولية أثناء البحث في العامل والإعراب، فإن العامل في النحو هو المتكلم في التداولية والمخاطِب، هذا عند من يرى أن

المتكلم هو الذي يحدث الإعراب كابن جني الذي يرى أن العوامل اللفظية والمعنوية هي من تحدثه يقول : "أمر الرفع والنصب والجرّ للمتكلم نفسه"[26]، فأثناء حديثه عن مكانة المتعلم في الإعراب أشار إلى دوره في الإفصاح عن المعاني كونه المسؤول عن وضع حركات الإعراب التي تنبئ عن الوظيفة النحوية والدلالية التي هو على دراية بها والمراد إيصالها إلى المتكلم بإحداث التفاعل بينه وبين المخاطب، فالعملية التواصلية تبدأ منه لذا كانت بنية الكلام وخصائص التركيب من اختصاصه دون غيره ويضيف أبو هلال العسكري ما أكده ابن جني بقوله: "المتكلم هو فاعل الكلام"[27]، ذلك أنه لو لم يبتدئ الكلام لما سمي متكلما وأطلق عليه متكلم نظرا لما يحدثه من فعل الكلام، يظهر ذلك أيضا في التفريق بين الكلام والتكليم "فالتكليم تعليق الكلام بالمخاطِب، فهو أخص من الكلام وذلك أنه ليس كل كلام خطابا لا غير"[28].

9-مراعاة المتكلم سياق الحال:

لم يغفل النحاة في دراساتهم المنهجية ما يحيط بالكلام أو الخطاب من ملابسات سياقية تساهم في بلورة المعنى وتبليغ المقصود لدى المتلقي، ودليلنا في ذلك إمام النحاة سيبويه حيث كان يعلل وجوه الإعراب ويستخلص الأحكام بما يرصد للسياق والمقام أهمية بالغة، فلم يُعزَل هذان الموضوعان عن دراسة اللغة، ولعل دراسة السياق محل اهتمام القضايا التداولية لأن تحليل الجمل يخضع للسياق، وكذلك تحليل أفعال الكلام، كما أن عناصر المقام تساعد على فهم عميق للتراكيب اللغوية مع مجموع الشروط الاجتماعية والتاريخية والعوامل غير لسانية التي يتحدد بمقتضاها إنشاء عبارة أو عبارات في زمان ومكان معينين[29].

وما اهتمام سيبويه بالسياق والمقام إلا تأصيل التداولية في التراث العربي القديم حيث يقول سيبويه في باب -ما ينصب على الفعل المستعمل إضماره-: "إنك قد ترى رجلا قد قدم من سفر، فتقول خيرا وما سرّ وخير لنا، وشرّ لعدونا،

وأما النصب فكأنه بناه على قولك: قدمت فقال: قدمت خير مقدم، وإن لم تسمع منه هذا اللفظ"[30]، وعلل سيبويه أيضا قول العرب أهلك والليل بقوله: "وإنما حذفوا الفعل حين ثنوا لكثرته في كلامهم واستغناء فيما ترونه من الحال وبما جرى من الذكر"[31].

إن مراعاة سياق الحال يقوم على افتراض مسبق بين المخاطِب والمخاطَب، ويتضمن معطيات يعرفها كلاهما وإلا لم تتحقق الإفادة والقصد من الخطاب يقول ديكرو: "أما الافتراضات المسبقة، فإن كان لها وظيفة، فهي تمثل الشرط الأساس للتماسك العضوي للخطاب"[32]، فإذا عدنا إلى خطاب سيبويه السابق الذكر نجد أن ملقي الخطاب على علم بأن المخاطَب كان في سفر وقد قدم منه فقال له: خير مقدم، ومتلقي الخطاب قد فهم ما قاله المخاطب وعلم أنه على دراية بسفره.

إن سيبويه أثناء مراعاته سياق الحال والمقام في دراسته للخطاب كان يعمد إلى التأويل والإضمار والحذف حتى يعلل أحكام الإعراب المختلفة من نصب ورفع وجر وجزم يقول في باب –ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إضماره من المصادر في غير الدعاء– من ذلك قولك: حمد لله فإنما ينتصب على إضمار الفعل كأنك قلت: أعجبت عجبا وأكرمت كرامة وأسرّك مسرة، وإنما اختزل الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلا من الفعل كما جعلوا في باب الدعاء كقولك حمدا في موضع أحمد[33] ومن ذلك قول الشاعر:

يَشْكُو إِلَيّ جَمَلِي طُولَ السُرَى صَبرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى

حيث يرى سيبويه أن النصب في صبر أكثر وأجود لأن السياق سياق أمر وليس إخبار مع العلم أن النصب يدل على غير ما يدل عليه الرفع.

10–القصدية في كلام المخاطِب:

اشترط النحاة القصدية في الكلام الذي يصدر من المخاطِب والقصدية أن ينوي به فائدة يبلغها المخاطَب، فلا يعتد بالكلام الذي يصدر عن الساهي والنائم لعدم توفر شرط الإفادة يقول السيوطي: "إنك إذا قلت قام الناس اقتفى إطلاق هذا اللفظ إخبارك بقيامهم جميعهم، فعلم بهذا أن الإفادة الإخبار بقيامهم جميعا بشرطين: الأول ألا تبتدئه بما تخالفه والثاني ألا تختمه بما يخالفه والثالث أن يكون صادرا عن قصد"[34]، وإذا صوبنا الأنظار وتصفحنا كتب بعض النحاة نجد أن الكلام لابد له من قصد حقه إفادة السامع بما قد يجهله حتى يكون للرسالة قيمة اتصالية تزيل الحجاب عن تشفيرها، يعرف ابن هشام الأنصاري الكلام بأنه: "القول المفيد بالقصد"[35]، والمراد بالقصد هنا أن يدل بالكلام عن معنى يحسن السكوت عليه، فشروط الكلام مرتبطة بالمتكلم لأن ابتدائه الكلام وختمه له وتعليق القصد مرتبط به لا غير، مع العلم أن الإفادة يقصدها المتكلم ويتضمنها الكلام؛ ذلك أن المتكلم هو المفيد في الأصل لا الكلام

11-تداولية المخاطَب في النحو العربي:

تظهر قيمة متلقي الخطاب في الفكر النحوي من خلال جملة شواهد أهمها مفهوم الكلام وأقسامه، حيث قسّم بحسب درجة فهم السامع له، وفي هذا قيمة تداولية يتجلى مظهرها في متلقي الخطاب يقول ابن فارس في باب – مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله–: "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب"[36]، فوضوح الكلام يقوم على مدى فهم السامع له بناء على الأساليب اللغوية التي يعرفها وحقيقة الكلام مرتبطة بـ "ما سمع وفهم"[37] ومن شواهد ذلك أيضا ما ذكره ابن الأثير في التفسير بعد الإبهام؛ إذ يعمد إلى استعمال الضرب من المبالغة لتفخيم أمر المبهم وإعظامه لأنه هو الذي يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كقوله تعالى: "وقضينا إلى ذلك دابر هؤلاء مقطوع مصبحين"[38]، ففسر ذلك الأمر بدابر هؤلاء مقطوع، فالإبهام أولا

يقع بالسامع في حيرة وتفكير واستعظام لما قرع سمعه وتشوق إلى معرفته والاطلاع على كنهه[39] وهذا أسلوب العربية التي يتعمد فيها المتكلم إلقاء الإبهام على المتلقي ثم لا يلبث أن يغيره، ولا شك أن الغرض من تقديم الخطاب من الابهام فيه إثارة وتشويق ورغبة لدى المخاطب حتى ينتهي به المطاف إلى معرفة المبهم، وهنا تتجلى لنا قيمة السامع وما يحرزه من دور في إزالة الغموض عن الخطاب.

كما أن الكلام لا يعتبر كلاما إلا إذا حقق الوظيفة الدلالية المنوطة بالسامع؛ ذلك أن المخاطَب العنصر الرئيسي في تحقيق الفائدة فقد ورد في شرح ابن عقيل للكلام عند النحاة بأنه "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ... والكلم ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه نحو إن قام زيد"[40]. وهذه العبارة التي نجدها تتردد في كتب النحاة يحسن السكوت عليه أو لم يحسن السكوت عليه تشير إلى ما للمخاطب من دور في العملية الاتصالية لأن السكوت منوط به إذا تحققت الفائدة، وعدمه دليل على أنه بحاجة إلى استزادة تُشْبِعُ حاجته المعرفية.

كما يبرز دور المخاطب التداولي أيضا في بعض الأصول التي يعرفها التركيب العربي من حذف وإضمار وتقديم وتأخير وغير ذلك لأن المخاطب يمكن أن يفهم ما حذف من الخطاب بمعية القرائن اللفظية والمعنوية والتي منها العوامل وبالأخص المحذوفة التي تؤثر في الإعراب دون أن تظهر، ففهم الخطاب يتوقف على تقدير السامع لما استنادا إلى المعنى الذي يقتضيه السياق كما في قول الشاعر:

أَلَا رَجُلًا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا يَدُلُّ عَلَى مُحَصِلَةٍ تُبِيتُ[41]

قيل في هذا البيت: إن كلمة رجلا حذفت بتقدير أروني المحذوفة[42].

12-الخطاب في النحو العربي:

لقي الخطاب أهمية كبيرة في تداولية النحو العربي، ولعل ذلك تجلى في إيلاء النحاة الأغراض التي تستفاد من الأساليب، وخروج الأساليب من غرض إلى آخر أو من معنى حقيقي إلى معنى مجازي يستفاد من سياق الخطاب، ونود في هذا المقام أن نورد شواهد تدل على ما أسسه النحاة من ذلك كخروج أداة الاستفهام من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على معان أخرى نحو الاستنكار والاستبطاء وغيرها أضف إلى ذلك الدلالات التي فصلها ابن هشام (ال) التعريف حيث جعلها نوعين[43] وكل منها ثلاثة أقسام لها ارتباط بالاستخدام الفعلي للغة لاسيما أقسام (ال) العهدية وهي:

1- (ال) التي تدل على العهد الذهني نحو قوله تعالى: "لقد رضي الله على المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا"[44].

2- (ال) التي تدل على العهد الذكري نحو قوله تعالى: "إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا"[45].

3- أن تدل على العهد الحضوري نحو قوله تعالى: "يا أيها المزمل قم اليل إلا قليلا"[46].

ففي القسم الأول يتجلى لنا الاعتداد بواقع استعمال اللغة؛ ذلك أن الشجرة ينبغي أن يكون حضورها في الذهن واردا أثناء الخطاب، ومن أهم المباحث التي اهتمت بتداولية الخطاب في النحو العربي التقديم والتأخير، فغرض النحاة والبلاغيون الأسباب التي تترتب وراء تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم ومن بين تلك الدواعي "أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه"[47] نحو قول الشاعر:

وَالذِي حَارَتِ البَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

ومنه ما يفيد تقديمه تخصيصه بالخبر الفعلي إذا جاء بعد حرف النفي فيحمل دلالة نفي الفعل عنه وإثباته لغيره نحو: "ما أنا قلت هذا، لم أقله مع أنه

مقول"[48]، كما تتقدم بعض المعمولات عليه لأن "ذكرها أهم والعناية بها أتم فيتقدم المفعول على الفاعل إذا كان لغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه"[49].

وللتعبير بالجملة الفعلية دلالة تختلف على دلالة التعبير بالجملة الاسمية مما يجسّد لنا تداولية الخطاب ذلك أن الجملة الفعلية تنقل للسامع خبرا لا يملك عنه أدنى معرفة سابقة، فيكون الخبر بالنسبة إليه أكثر إفادة، ولقد ذكر ابن الأثير مثالا عن ذلك تجلى في قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون"[50]، فقد عبروا بالجملة الفعلية حين حدثوا المؤمنين وبالاسمية مع إخوانهم الكفار لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فكان تكلفا وإظهارا للأمن ومداجاة ولأنهم ليس لهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم[51].

وفي الأخير نختم هذا الموضوع المتعلق بتداولية الخطاب في النحو العربي بما أشار إليه سيبويه من تجاذب المعنى والتركيب وما قدّمه من ربط صحة الاستعمال بمطابقة الكلام للواقع حيث قام بتقسيم المعنى إلى خمسة أقسام[52] مستقيم حسن: أتيتك أمس وسآتيك غدا حيث تتطابق فيه البنية التركيبية مع الدلالية ومحال: أتيتك غدا وسآتيك أمس وما جعله محالا نقض أوله بآخره حيث إن صيغة الفعل تفيد الماضي والظرف معلق بالمستقبل، والمستقيم الكذب الذي يستقيم تركيبه وتستحيل دلالته والمستقيم الكذب نحو قولك: قد زيدا رأيت.

الخاتمة:

لقد خلصت هذه الأوراق البحثية إلى نتائج يمكن حصرها في نقاط أهمها:

- التداولية اتجاه لساني تفرع من ثنائية سوسير اللغة والكلام، أفكار لسانية ظهرت لتتجاوز مادية الفعل إلى ما يمكن أن يخلق تفاعلا وتواصلا بين اللغة ومستعمليها حيث تعتبر النص خطابا تواصليا يسعى ليتحرر من قيود نظامه وبنيته التركيبية.
- لم تعرف نشأة التداولية استقرارا لتعدد مناهجها وتنوع مصادرها مما أثرى مدونة تعريفاتها.
- تعد لسانيات الكلام المنطلق الذي انبعث منه اللسانيات التداولية؛ ذلك أنها تركز على الجانب التواصلي والوظيفي للنص على عكس اللسانيات اللغوية التي تنحصر في قيود النظام اللغوي.
- لا يمكن أن نغفل جهود النحاة القدامى في التأصيل للتداولية حيث إن دراساتهم لم تنحصر في البنية اللغوية فحسب بل ركزت بقدر كبير على طرائق الاستعمال اللغوي، تجلى ذلك في عرض النحاة مسائل تتعلق بالمتكلم مما يجسّد دوره في البنية ذاتها وما يحدثه من تفاعل يظهر في حركات الإعراب، ولعل كونه محدث حركة الإعراب يجعل منه الحامل للمعنى والأدرى بالأغراض المراد إيصالها إلى المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.
2. ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، 1998.
3. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.
4. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أحمد فارس صاحب الجوانب، دار صادر، بيروت، ط1، 1882.
5. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1991.

6. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط4، 1997.
7. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.
8. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربي في اللسانيات الوظيفية من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1989.
9. البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، 1916.
10. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987.
11. جورج مونان، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2010.
12. حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.
13. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.
14. رضي الدين الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، دراسة حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، دار الثقافة والنشر، ط1، 1992.
15. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1971.
16. سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
17. شاهر حسن، السيمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2001.
18. عبد القاهر الجرجاني، العوامل المئة في أصول علم العربية، شرح خالد الأزهري، تحقيق: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988.
19. فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، القاهرة، ط1، 2001.

20. فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.
21. فولقانج، مدخل إلى لغة النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط، 2004.
22. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم الخفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980.
23. محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث العربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
24. محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، 2004.
25. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي المعاصر، ط2، 2002.
26. *AsWald Ducrot,dire et ne pas dire 3ème édition paris.*
27. *Dominique Maingueneau, L'analyse du discours, Introduction aux lectures de l'archive hachette, Paris, France, 1991.*
28. *Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discour lettéraire collection lettre, Sup dunod, Paris, 1970.*
29. *Gille Sionffi et dan van baemidonck : 100 fiche pour comprendre la linguistique, breal rosny, novembre, 1999.*
30. *Jean Dubois et autre dictionnaire de l'linguistique Larousse, Paris, France.*

---

[1] ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي المعاصر، ط2، 2002، ص100.

[2] ينظر: فولقانج، مدخل إلى لغة النص، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص15.

[3] المصدر السابق، ص15-16.

[4] *Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discour lettéraire collection lettre, Sup dunod, Paris, 1970, P10.*

[5] ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث العربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص10-11.

6 Dominique Maingueneau, L'analyse du discours, Introduction aux lectures de l'archive hachette, Paris, France, 1991, P17.

[7]ينظر: محمود نخلة، آفاق جديدة في البحث العربي المعاصر، ص10.

[8]البراغماتية مصطلح موحد في المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية يختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسره المستمع مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة،كما أن التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، ينظر: جورج مونان، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص19.

[10]خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص67.

[11]فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص80، وينظر: شاهر حسن، السيمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2001.

[12]ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربي في اللسانيات الوظيفية من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1989، ص17.

[13]ينظر: فرونسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ص80.

[14]ينظر: فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، القاهرة، ط1، 2001، ص14.

[15]ينظر: فرونسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ص07.

[16]سورة البقرة، الآية 233.

[17]ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1971، ج2، ص320.

[18]سورة البقرة، الآية 233.

[19]الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص289.

[20] *Gille Sionffi et dan van baemidonck : 100 fiche pour comprendre la linguistique, breal rosny, novembre, 1999, P51.*

[21]حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص344.

[22]أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص87-88.

[23]المصدر السابق، ص88.

[24]عبد القاهر الجرجاني، العوامل المئة في أصول علم العربية، شرح خالد الأزهري، تحقيق: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988، ص26.

[25]رضي الدين الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، دراسة حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، دار الثقافة والنشر، ط1، 1992، ص64.

[26]ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، 1998، ج1، ص111.

[27]أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط4، 1997، ص27.

[28]المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[29] Jean Dubois et autre dictionnaire de l'linguistique Larousse, Paris, France, P120.

[30]سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص270.

[31]المصدر السابق، ج1، ص274.

[32] AsWald Ducrot,dire et ne pas dire 3ème édition paris, p90.

[33]سيبويه، الكتاب، ج1، ص320، والبيت من شواهد ابن منظور في لسان العرب، تحقيق: أحمد فارس صاحب الجوانب، دار صادر، بيروت، ط1، 1882، ج14، ص440.

[34]جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987، ج1، ص38.

[35] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1991، ج1، ص61.

[36]ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963، ص74.

[37]المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[38]سورة الحجر، الآية 66.

[39]ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ج2، ص24.

[40]محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، 2004، ج1، ص18.

[41]البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، 1916، ج1 ، ص 191

[42]سيبويه، الكتاب، ج2، ص30.

[43]ينظر: مغني اللبيب في كتب الأعاريب، ج1، ص67.

[44]سورة الفتح، الآية 18.

[45]سورة المزمل، الآية 15-16.

[46]سورة المزمل، الآية 1-2.

[47]القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم الخفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص135.

[48]المصدر السابق، ص137.

[49]المصدر السابق، ص207.

[50]سورة البقرة، الآية 14.

[51]ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص51.

[52]سيبويه، الكتاب، ج1، ص21.

مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022، ص. ص22-36

سمات التداولية المدمجة في تفسيرات فاضل صالح السامرائي

The Features integrated pragmatics in the interpretations of Fadel Saleh al-Samarrai

بلال بوزيان **1***

1جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي– *bilelbouziane11@gmail.com*

تاريخ الإرسال:2021/01/28 تاريخ القبول:2022/01/08 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص:

تسعى النظرية التداولية ككل النظريات اللغوية لسبر أغوار الخطاب الأدبي، وهي تأخذ مكانتها المثلى لتقاطعها مع كثير من العلوم فهي تقع في مفترق طرق كثير من المعارف وفي هذا النموذج التداولي الذي اشتغلنا عليه في هذه الدراسة، يبدو أنه قادر على وضع الخطاب موضع مساءلة فعلية ، من شأنها أن تكشف عن مسارات تأويلية جادة . تروم هذه الدراسة من خلال تحليل عمل السامرائي إلى محاولة الكشف عن مواطن تواشج مفاهيم نظرية التداولية المدمجة مع الخطاب القرآني، وإن كنا لا نملك دليلا علميا يبرر استعمال السامرائي للمفاهيم التداولية في أعماله، إلا أننا في عملنا هذا نستأنس بممارسة هذه النظريات على الموروث العربي من طرف كثير من الدارسين العرب، بل وحتى من الدارسين الغرب إذ عرف بيار لارشي ببحوثه في التفكير اللغوي في الحضارة العربية والاسلامية.

الكلمات المفتاحية:

التداولية المدمجة، القرآن الكريم، فاضل صالح السامرائي، البلاغة العربية، السياق.

*المرسل المؤلف.

Abstract:

The pragmatic theory, like all linguistic theories, seeks to explore the depths of literary discourse, and it takes its optimal position for its intersection with many sciences, as it lies at the crossroads of many knowledge and in this pragmatics model that we worked on in this study, it seems that it is able to put the discourse into actual accountability, from That would reveal serious hermeneutic paths. This study seeks, through analyzing the work of al-Samarrai, to try to uncover the points of interconnection of the concepts of pragmatic theory combined with the Qur'anic discourse, although we do not have scientific evidence that justifies the use of pragmatic concepts by al-Samarrai in his work, but in our work we seek to practice these theories on Arab heritage on the part of Many Arab scholars, and even Western scholars, as Pierre Larchi was known for his research on linguistic thinking in Arab and Islamic civilization.

Key words*: Integrated pragmatic, Holy Quran, Fadel Saleh Al-Samarrai, Arabic rhetoric, context.*

المقدمة :

لقيت الظواهر الإنسانية اهتماما كبيرا من طرف الدارسين، وتنوعت طرائق دراسة هذه الظواهر، وأهم ظاهرة إنسانية ظفرت بحصة الأسد هي الظاهرة اللغوية، فاهتمت بها الفلسفة، وعلوم المنطق، وعلوم النفس، وعلوم الاجتماع، والفولولوجيا، إلى أن ظفرت بعلم خاص بها، اتخذ منها موضوعا له، وأرسا قواعده العالم السويسري فردناند ديسوسير، الذي أوضح بدقة موضوع علم اللسانيات " وهو الدراسة العلمية للألسن"[1]

إلا أن سبر أغوار الخطاب الأدبي والنقدي، فرض على النظريات اللغوية نوعا من التوسع، وذلك لما للخطاب الأدبي من مداخل عديدة، وكان ذلك سببا لتنامي النظريات اللغوية، واستباقها لتحليل النص وفهمه وتأويله .

ومن هذه النظريات النظرية التداولية التي تطرح على النصوص الأدبية، وعلى نفسها تساؤلات عديدة، ذلك لأنها علم مترامي الأطراف " تخترق جملة العلوم الإنسانية وهي لا تشير إلى نظرية مخصوصة بقدر ما تشير إلى تقاطع تيارات

مختلفة تشترك في عدد من الأفكار الفاعلة "[2]، إلى حد أصبح من الصعب تحديد انتمائها ومتجاوراتها، وإن كان الخطاب اللساني العربي يسير سيرا محتشما، فإن نظيره الغربي خطا خطوات سريعة، وكثرت في أدبياتهم اللسانية رؤى كثيرة فرضتها طبيعة اللغة واستعمالها.

يبدو هذا التسارع المعرفي الغربي جلي وواضح حين نتتبع تطور الدرس التداولي عندهم، بدأ من شارل موريس الذي يرى أن التداولية " مكونا للغة بجانب المكون الدلالي والمكون التركيبي"[3]، ثم أصحاب الفلسفة التحليلية متمثلة في كل من اوستين وسيرل وصولا عند أصحاب التداولية المدمجة وعلى رأسهم أزوالد دكرو، والتداولية العرفانية في نظريات كل من سبربر وولسن [4].

ولأن مساحة هذا البحث لا تسمح بمعالجة موضوع متسع جدا كتناول المعطى التداولي الذي يجمع كل مقولات التداولية التي نلخصها في الخطاطة . التي تعكس رؤية فرانسواز أرمنيكو لأقسام التداولية.. المبينة في الشكل(1)، هذا من جهة ومن جهة أخرى أعمال السامرائي الكثيرة ، لذا ستقتصر هذه الدراسة على معالجة ما جاء به السامرائي في كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني معالجة في ضوء مقولات التداولية المدمجة .

ونتغيّ من هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي مظاهر التداولية المدمجة في تفسيرات السامرائي؟ وكيف استثمرت مقولات التداولية من لدن السامرائي في رسم مسار تأويلي وتفسيري لنصوص القرآن ؟

تهدف هذه الدراسة من خلال تحليل عمل المؤلف إلى محاولة الكشف عن مواطن تواشج مفاهيم نظرية التداولية المدمجة مع الخطاب القرآني، وإن كنا لا نملك دليلا علميا يبرر استعمال السامرائي للمفاهيم التداولية في أعماله، إلا أننا في عملنا هذا نستأنس بممارسة هذه النظريات على الموروث العربي من طرف كثير من الدارسين العرب، بل وحتى من الدارسين الغرب إذ عرف بيار لارشي ببحوثه في التفكير اللغوي في الحضارة العربية والاسلامية، وكتب مقالا وسمه بـ : تداولية قبل التداولية هي تداولية قروسطية عربية اسلامية [5].

تعريف التداولية :

تتأسس رؤية المعاجم العربية للتداولية انطلاقا من سرد المعاني الخاصة بالجذر (دول) جاء في كتاب العين: دول؛ الدُّولة، الدَّولة لغتان ومنه الإدالة؛ قال الحجاج :" إن الأرض ستدال منّا كما أدلنا منها؛ أي نكون في باطنها كما كنا على ظهرها" [6]. أما لسان العرب فقد سرد معاني عديدة تصب في مجملها في تداول الشيء مرة لهذا ومرة لهذا، وهو الانتقال من حال إلى حال، والحديث لم تتداوله الرجال؛ أي لم تتناقله وترويه ، وهي بمعنى الغلبة أيضا. [7]

وبخصوص المعاجم المختصة فقد حملت العديد من التعريفات، فعرفها معجم المصطلحات الأدبية على أنها: حركة فلسفية سوقية تؤكد النتائج العملية وتشدد على المنفعة والنزعة العملية[8]، فهي هنا تعني النفعية. أما المعجم الفلسفي فقد أرجع استعمال مصطلح التداولية الى الفيلسوف شارلز ساندارس بيرس الذي أراد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظري ... والبرغماتية بوجه عام وصف لكل ما يهدف الى النجاح أو الى منفعة خاصة[9]، ويشير معجم اللسانيات لجون دي بوا إلى أن مصطلح التداولية يحمل مجموعة من المفاهيم، وهو في الأصل يعني خصائص استعمال اللغة هذه الخصائص متعلقة بنفسية المرسل وتفاعل المتلقي ونوع الخطاب وموضوعه، ابتداء من النحو والسيمياء وتعني أيضا دراسة أفعال اللغة [10].

تصور فرانسواز أرمينيكو لأقسام التداولية

ترى أرمينيكو في كتابها المقاربة التداولية بأن التداولية تداوليتان أحدهما تداولية تلفظ والأخرى تداولية اللغات الشكلية واللغات الطبيعية والخطاطة التالية تبين رأي أرمينيكو في هذه المسألة[11]:

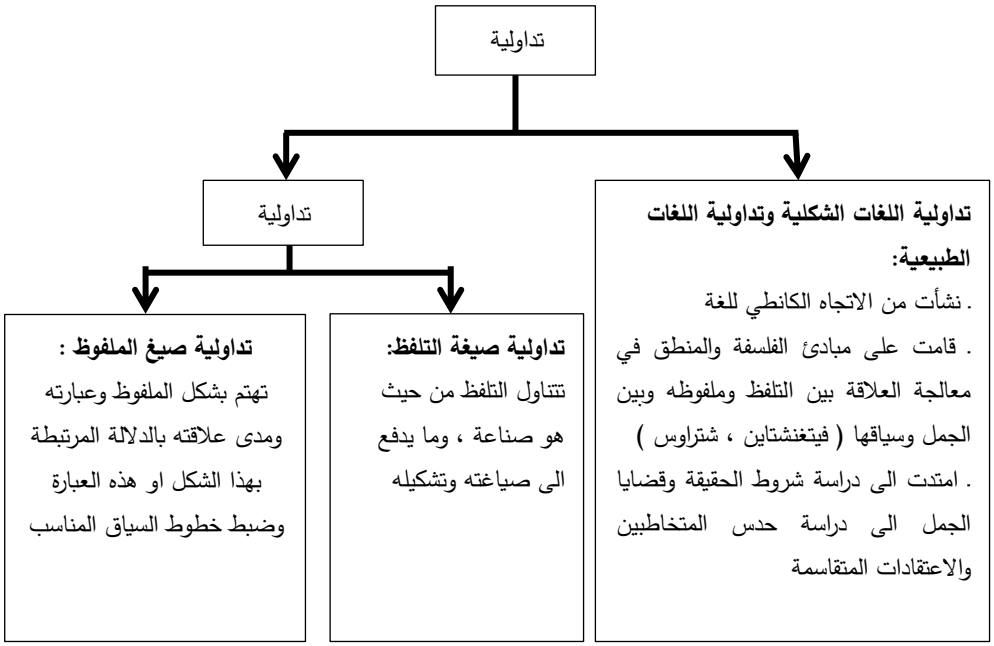

حسب هذا التقسيم فإن هذه الدراسة تشتغل في القسم الثاني (تداولية التلفظ) في شقه الثاني تداولية صيغ الملفوظ، لأن هذا الفرع هو الذي يخول لنا في مساحته أن ندمج بين الاعتبارات خارج اللغوية (البعد التداولي) مع اعتبارات النظام اللغوي، وهذا أحد مساعي التداولية المدمجة، التي تعتبرها النظرة اللسانية قسما من الاقسام الثلاث للتداولية والتي نوضحها في الشكل التالي[12] :

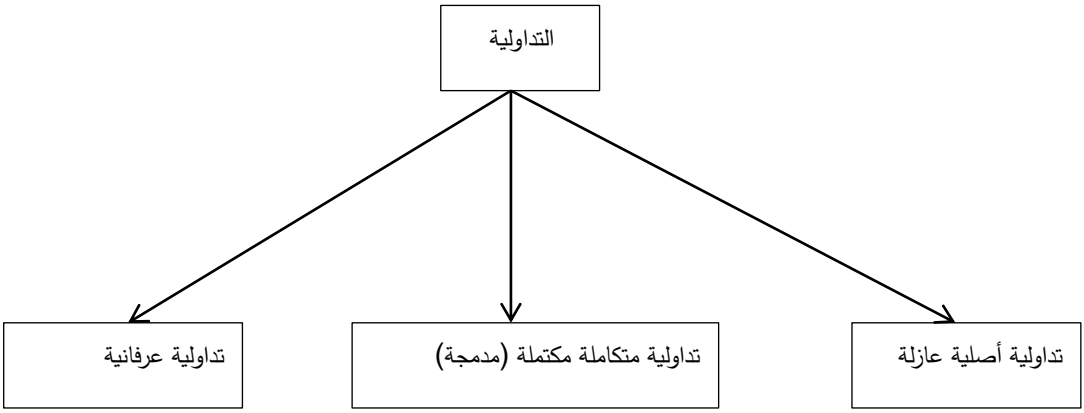

التداولية المدمجة :

يقول آلان بروندونير: لقد تبينا ذات يوم أنه يجب إنشاء تداولية مدمجة ولكننا أهملنا التساؤل مدمجة في أي شيء ؟[13].

إن مثل هذا التساؤل مهم جدا لأن معرفة العناصر التي نسعى الى دمجها يسهل هذه العملية، ويمكن من معرفة الآليات التي تتم بها، لقد كان ميلاد هذا المصطلح (التداولية المدمجة) في اطار التحاليل التداولية حول أعمال اسكمبر وديكرو وتهدف أعمالهما للدفاع عن أطروحتين هما[14]:

1. الدفاع عن تصور لا وصفي للغة؛ مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون بل تبلغ أعمال لغوية .

2. اطروحة الإحالة العكسية للمعنى؛ معنى قول ما هو صورة لعملية القائه أي ان تأويل صيغة قول ما هو فهم دواعي القائه.

مميزات التداولية المدمجة :

يطرح القاموس الموسوعي للتداولية مجموعة من الأطروحات التي تميز التداولية المدمجة نلخصها في الآتي: [15]

1. النظام اللغوي وضع لهدف التواصل ومعنى القول مرتبط بعملية قوله .

2. يحوي اللسان اضافة الى الامكانات النحوية شروط لغوية تقيد تسلسل الأقوال وتعاقبها .
3. دراسة معنى قول يشتمل على جانبين هما دلالة الجملة (مجال لغوي) ومعنى القول (مجال بلاغي تداولي)
4. العلاقة بين الأقوال علاقة حجاجية لا استنتاجية
5. يندرج منوال التداولية المدمجة ضمن ابستيمولوجيا المحاكاة .

بعد هذه النظرة الموجزة عن التداولية والتداولية المدمجة، نحاول أن نسلط ضوء هذه النظرية على ما جاء في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السمرائي وهو كتاب من الحجم المتوسط احتوى على مئة واثنين وخمسون صفحة قسمه صاحبه سبعة أقسام، يبدو لأول وهلة أنه كتاب نحوي إلا أنه احتوى على تخريجات تجاوزت الجانب النحوي كما سنبين من خلال هذه المقاربة .

في قسم الذكر والحذف أورد السامرائي مجموعة من الأمثلة القرآنية اختلفت صيغة التعبير فيها ويؤكد السامرائي أن هذا الحذف والذكر يستدعيه الغرض، فهو يقرن هذه المفردات بسياقاتها بدقة، وهذه المسألة هي التي كانت وراء تطور التداولية المدمجة وهو مسألة الاقتضاء؛ أي المضمون الذي تبلغة الجملة بكيفية غير صريحة [16] يقول السامرائي متحدثا عن القرآن : " إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لا يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل، فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل بل ذكره بأوفى صورة "[17]

فالسامرائي يدمج الصيغة النحوية مع مقتضيات السياق ليتمكن من استدعاء الدلالات التي يحملها الخطاب ، ويعلل من خلال السياق صفة ورود الألفاظ داخل النسق اللغوي ففي قوله تعالى " **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا:** الكهف 97، اقتضى السياق المعرفي أن عملية الصعود على هذا السد المصنوع من النحاس أقل جهدا من عملية النقب التي فيها عناء وشقاء تطلبت أن ينقص حرف التاء من بنية الفعل الأول واثباتها في الفعل الثاني ، ثم يضيف بأن زمن الظهور

على السد يكون أقصر من زمن النقب ثم الظهور ، يتضح من هذا التخريج أن السامرائي ينطلق من فكرة أن فهم هذه الصيغة متعلق بفهم دواعي القائها ، وهته أحد أطروحات التداولية المدمجة .

وفي الآيات الكريمات التالية :

" "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ"" القدر، الآية 4

"هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" الشعراء 221 _ 223

"إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ" فصلت، الآية 30

لا يمكن بحال من الاحوال أن يكفي المعطى اللساني فقط لتبرير ورود فعل (نزل) مرة بصيغة (تتنزل) وأخرى بصيغة (تنزل) ما لم ندمج هذا القول في مختلف سياقاته وظروف انتاجه المادية والمعنوية، يبرر السامرائي ورود الصيغتان واختلافهما من خلال المعرفة المسبقة ببعض الظواهر المتكررة، فنزول الملائكة في آية فصلت يكون على الموتى لتبشيرهم بالجنة والموت على مدار السنة وفي كل لحظة، فالصيغة اللفظية وافقت صفة هذا النزول ، أما في آية الشعراء فيركز السامرائي في تخريجه على كامل الصيغة النحوية ودلالات الألفاظ فيها فيقول : " إن الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة ، وإنما على الكهنة ، أو على قسم منهم "[18] لذا أتى بالفعل على صيغة (تنزل) ، وفي آية القدر مثلها لان نزولهم في ليلة واحدة من السنة ، فهذه المدركات المسبقة وعناصر الدلالة تتساوق جنبا إلى جنب مع الصيغة اللغوية فهي تعبر عن المعنى بدقة متناهية .

وفي الآيات الكريمات التالية:

" يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا

وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"" آل عمران ، الآية: 102 -105 .

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (14)" الشورى الآيتان: 13-14 .

يورد السامرائي في تخريجه لسبب استعمال الفعل في صيغته التامة (تتفرقوا) مرة ، وفي صيغة (تفرقوا) مرة أخرى، عدة أسباب نحاول ذكر نموذج منها مع الكشف عن مواطن الدمج بين صيغة القول ومقتضاه

1. آية أل عمران خطاب للأمة الاسلامية ، وآية الشورى خطاب في أمم مختلفة وشرائع متعددة ، أنقص من الفعل عندما تكلم على أمة واحدة واتى به تاما عندما تكلم على أمم مختلفة ، نجد في هذا التخريج أن السامرائي يستخلص دلالة اللفظة من خلال وضعها في سياق السورة ككل فبالإضافة الى كونه كشف الغطاء عن المعنى هو أيضا يثبت بأن هذا الخطاب منسجم ومتسق .

أما في قسم الابدال فيقول السامرائي :" إننا نرى أن كل تغيير في التعبير القرآني مهما كان فله سببه ولا يكون تغيير من دون سبب "[19]، فالأسباب التي يتحدث عنها السامرائي ليست أسباب لغوية فقط وإن كانت الصيغة اللغوية تدل عليها من خلال ما تثيره من تساؤلات ، وسنحاول أخذ نموذجين من هذا القسم كما فعلنا في الذي سبقه ، لكي نستطيع أن نتطرق لكل النماذج اللغوية المطروحة في هذه المدونة داخل هذه المساحة الضيقة التي يفرضها المقال .

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) آل عمران، الآية: 96، 97 .

" وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" الفتح 24

يدمج السامرائي في هذا النموذج بين الدلالة المعجمية لكلمة (بكة) السياق الذي وردت فيه اذ وردت في سياق الحديث عن الحج و(البك) يعني الزحام والتدافع وفي آية الفتح ليس السياق كذلك فجاء بالاسم المعروف وهو (مكة) ، عملية الالصاق هذه تعطي للخطاب سمة الدقة في الاتساق والانسجام معا .

وفي قوله:" مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4)الأحزاب 4

"اللَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2)" المجادلة 2

" وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)" الطلاق 4

"وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)" النساء15

" وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" يوسف 50

في آية الظهار والطلاق استعمل اللائي بالهمزة لثقلها وهي تتماشى مع ثقل المفارقة الحاصلة بين الزوجين في هذا التخريج يدمج السامرائي بين البنية الصوتية للكلمة وبين السياق التي جاءت فيه

" ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا " مريم 69 . " وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا "" الفرقان 21 .

يقول السامرائي في هذا الشأن :" ومن النصين القرآنيين نلاحظ أن اتصاف المذكورين بالعتو في الفرقان أشد مما في مريم فاختار لهم اللفظ الأقرب والأقوى "[20] إن الحديث عن الحروف هو حديث يندرج ضمن الخصائص الصوتية ، إلا أن هذه

الخصائص تبقى في اطارها الوصفي البنيوي الذي لا يحيل على شيء إلا إذا الصق بدلالته في السياق

ومن النماذج الأخرى الواردة في الكتاب هو ورود صيغة المبني للمجهول والمبني للمعلوم في مواضع يظهر للوهلة الأولى أنها متشابهة

ففي قوله " لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (47)" الصافات 47 .

وقوله " لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ " لواقعة 19 .

يسرد السامرائي مبررات عديدة لهذا الاختلاف أقرن كثيرا منها بالسياق التي تتحدث عنه الآيات الكريمات " وأن كل مفردة إنما وضعت في مكانها المناسب من أكثر من وجه ذلك أن سياق الآيات في سورة الواقعة إنما هو في السابقين المقربين وهم أعلى الخلق من المكلفين ... وسياق الآيات في سورة الصافات إنما هو في المؤمنين المخلصين ... والسابقون أعلى من هؤلاء فإنهم أعلى الخلق من المكلفين " [21]

في قسم أخر من أقسام المدونة عنونه المؤلف بتعاور المفردات ذكر فيه أنه " قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني ، فتستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به ، بل في القصة الواحدة قد نستعمل مفردة في موضع ونستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة وذلك نحو

قوله تعالى :

" وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " البقرة 60

وقوله في سورة الأعراف ً

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" الأعراف 160

والانفجار بالماء أغزر من الانبجاس فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة ...[والحقيقة] أن كلا الأمرين حصل فقد انفجرت أولا بالماء الكثير ... ثم قل بمعاصيهم فأخذ ينبجس ، فذكر حالة الانفجار في موطن وحالة الإنبجاس في موطن آخر فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعا لما يقتضيه السياق، ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام " [22]

في هذا النموذج أيضا يبرز السامرائي تعاور هذه المفردات بإقرانها والسياق الذي وردت فيه ، فالنموذج الذي يقدمه المؤلف يمثل فعلا ممارسة لدراسة اللغة أثناء الاستعمال فهو يقدم حيثيات المقام الذي ترد فيه هذه الكلمات ليحملها دلالات تتماشى فعلا مع ما وضعت له ، وكما قلنا في أول المداخلة أننا لا نملك دليلا علميا حقيقي يؤكد اعتماد السامرائي على التداولية في أعماله ، الا اننا ما نجده في ممارساته يتوافق مع ما جاءت به التداولية ، يجعلنا نقوم بدراسات مثل هذه على أعماله .

الخاتمة:

بعد تطرقنا الى هذه النماذج التي حاولنا أن نتتبع فيها طريقة التعليل والتخريج الذي استعمله السامرائي على ضوء ما تنص عليه مقولات التداولية المدمجة تبين لنا في كثير من المواضع أن هذا العمل يوافق فعلا آلية الدمج التي تقدمها النظرية اللغوية لتتواشج مع الخطاب وتقدم له تحليلا مقنعا .

نلاحظ من هذا أن النظريات اللغوية سواء البنيوية منها أو ما بعد البنيوية قد استفادت من بعضها البعض، فالسامرائي حين يدرس المفردة ينظر اليها من المستويات التي تتيح الوصف وهي المستوى الصرفي والصوتي والمعجمي والتركيبي، ومن ثم يضع هذه المفردات موضع سياقها ويحملها الدلالات على ضوء ذلك .

إن ما نلحظه على المدونة أن المؤلف لم يستعمل مصطلحات من قبيل النص القرآني، الخطاب القرآني، المرسل، المستقبل، الرسالة، بل اكتفى بتكرير مصطلح التعبير القرآني، وإن أوحى لنا هذا بشيء، فهو يوحي بأن المؤلف لا يستعمل مصطلحات العلوم الحديثة اللغوية منها والنقدية .

عنوان المدونة التي اشتغلنا عليها وبقيت الكتب التي ألفها السامرائي مثل التعبير القرآني ولمسات بيانية فضلا عن طريقته في التحليل والتأويل توحي بأن منهجه جرجاني، وهذا لا يعني أننا نقابل نظرية النظم إلى نظرية التداولية، بقدر ما هو لفت نظر الى موروثنا البلاغي والنقدي، في محاولة لإعادة استنطاقه وتفجير مكنوناته، بما تتيحه المناهج البحثية الحديثة.

الإحالات:

1: اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر والأصول ، مصطفى غلفان ، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2017 ، ص77 .

2: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ، دومنيك مانغنو ، ت عبد القادر المهري ، حمادي صمود ، دار سيناترا ، ص 442

3: نفس المرجع ،ص 442

4: أنظر معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو ، دومنيك مانغنو ص 443 ، وأيضا : اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا افيتش ، ت سعد عبد العزيز مصلوح ، وفاء كامل ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 2 ، 2000 ، ص 352 .

5: أنظر ، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ، عز الدين المجدوب ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، ج 1 ، ط 2012 ، ص 499 .

6 : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهدي ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ج2 ، ص 60 .

7: أنظر ، لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 11 ، ص 252

8: معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، التعاضدية العملية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس ، ط 1986 ، ص 68 .

9: أنظر المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1983 ، ص 32 .

10 :*Regardé : dictionnaire de linguistique ,jean doubois, larousse , paris,éd 1, 1994, p375* .

11: أنظر : في اللسانيات التداولية ، خليفة البوجادي ، بيت الحكمة ، العلمة ، سطيف ، ط 1 ، 2009 ، ص ص 77،78 .

12: أنظر : المرجع نفسه ، ص 81 .

13: التداولية والحجاج ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ،2008 ، ص 32 .

14: أنظر : القاموس الموسوعي للتداولية ،جاك موشلر و آن ريبول ، ت مجموعة من الاساتذة ، دار سيناترا ، تونس ، دط ، ص 35

15:أنظر مرجع نفسه ، ص ص 84 85 .

16: أنظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول و جاك موشلار ، ت سيف الدين دغفوس ، المنظمة العربية للترجمة ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 ، ص 47 .

17: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط5 ، 2009، ص 13 .

18: المرجع نفسه ، ص 15.

19: المرجع نفسه ، ص 43 .

20: المرجع نفسه ، ص 64

21:المرجع نفسه ، ص 74

22: المرجع نفسه ، ص ص 127 ، 128

مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022،ص. ص37-56

دلالة الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنصل القرآني

The significance of transformational grammar in the grammatical level of Quranic text

سليم مزهود **1***

1 المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة- *salimsimez@gmail.com*

تاريخ الإرسال:2021/01/05 تاريخ القبول:2022/01/08 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص:

إن السياق القرآني كله نظم رائع، تخضع آياته كلها إلى نسقٍ دلالي وتناغمي مثالي، وتظهر هذه المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات.

يهدف المقال إلى الكشف عن أهم الجوانب التحويلية في النص القرآني المتمثلة في الحذف بأنواعه، والتمدد والتوسع، والزيادة أو الإقحام بإعادة ذكر المؤكد بلفظه، من خلال التوكيد باللفظ نفسه أو بالحروف الزائدة والتقديم والتأخير بين الكلمات، بما يكسبها في تركيبها اللغوي نغمة موسيقية تختلف عذوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب السياق والنظمِ الذي وردت فيه.

الكلمات المفتاحية:

قواعد تحويلية- نص قرآني - سياق - مستوى تركيبي - نحو .

Résumé

Le contexte coranique est un système merveilleux non dépourvu de phrase singulière de cette mélodie, et cet idéal s'accorde avec des mots voisins, et la cohérence entre ces mots.

L'article vise à révéler l'importance de la grammaire transformationnelle au niveau grammatical du texte coranique, comme la suppression de lettres de mot ou de phrase, ainsi que l'expansion d'un mot singulier à une phrase, et augmenter ou certainement un même mot, par l'assertion verbale ou des retards entre les mots, ce qui fait un rythme dans le texte.

*المرسل المؤلف

Mots-clés :
Grammaire transformationnelle - Texte coranique - contexte - niveau syntaxique - grammaire.

Abstract
The Quranic context is a system wonderful not devoid of singular phrase of this melody, and this ideal fit with a neighboring words , and consistency among that words.
The article aims to reveal The significance of transformational grammar in the grammatical level of Quranic text, like as the deletion Letters of word, or phrase , as well as the expansion from a singular word to a sentence,and increase or certainly a same word, through the assertion verbally or delays among words, which makes a rythme in the text.

Keywords: (05)
Transformational grammar - Quranic text - context - syntactic level - grammar.

المقدمة:

تعد الجملة الوحدة الرئيسة للمعنى التي تعبر عن فكرة تامة(1)، إذ تحتوي الجملة على مكونين هما: البنى الخارجية أو الشكلية ويدرسها علم الفونولوجيا. والبنى الداخلية أو الضمنية ويدرسها علم الدلالة.

وانطلاقا من هذين البنيتين، تناول تشومسكي اللغة من خلال النحو التوليدي الذي يصلح للتطبيق على الجمل في اللغات كلها، وهو ما يسمى بالنحو الكلي الذي يعد رابطاً بين التوليد والتحويل في المراحل الأولى من الدراسات التوليدية والتحويلية(2)، ويعد هاريس رائد علم اللغة التحويلي، أما تشومسكي فهو رائد علم اللغة التوليدي؛ إذ أدخل كثيراً من التعديلات على علم اللغة التحويلي عند هاريس(3)

يهدف المقال اعتمادا على المنهج الوصفي، إلى الكشف عن أهم الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنص القرآني.

1- مفهوم جمل التحويل:

التحويل هو عملية نحوية تغير ترتيب المكونات في داخل جملة ما، بالحذف والإضافة أو التقديم والتأخير أو الاستبدال(4).

إن القول باسمية الجملة وفعليتها هو تركيب بنائي، أما القول بالتوليد والتحويل، فيعني أنّ ارتباطه يكون بالمعنى الأصلي للقريب، أي التوليدي، وبالمعنى البعيد أي التحويلي(5)

إن الجملة التحويلية تتم بعناصر التحويل، بالترتيب والزيادة والحذف والحركة الإعرابية والتنغيم(6)

ومن أمثلة الجملة الفعلية التحويلية، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (نوح.الآية:15)، إذ دخل حرف الاستفهام وحرف الجزم، على الجملة الفعلية (تروا)، ودخل اسم الاستفهام (كيف) على الجملة الفعلية (خلق)، –وهذا التحويل– هو من أجل إثارة الانتباه إلى خلق الله تعالى، والدعوة إلى التأمل فيه.

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُم﴾ (البقرة.الآية:50)، إذْ تبيّن الآية نعمة من النعم التي منحها الله تعالى لبني إسرائيل؛ وهي إغراق فرعون وجنوده؛ حيث بدأت الآية بجملة فعلية تحويلية في قوله سبحانه: (وإذ فرقنا) .

إذ سبق الفعل (فرقنا) ظرف للزمان الماضي، ودخول (إذ) الظرفية للزمان الماضي على الجملة الفعلية يقتضي وجود فعل يسبق الظرف وهو (اذكروا) المحذوف، وهذا دعوة إلى تذكر النّعَم التي أنعم الله بها على الناس، ومن الناسِ بنو إسرائيل.

2– الحذف:

1.2 ماهية الحذف: الحذف هو فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعنى، ترى به التَّركَ أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، على أن تبقى في الكلام قرينة تدل على المحذوف، حتى لا يصير البيان غامضا(7).

يقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن)(8)

والحذف أسلوب بلاغي قديم يلجأ إليه الشاعر، من أجل توضيح بعض الدلالات الإيحائية التي يرمي إليها، وقد يكون السياق هو من يدفع المتكلم إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة، وهو من يدخل في بناء الجملة، ويعد" أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة؛ أي يحذف أحد العناصر المكونة بهذا المكونة البناء وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى[9].

2.2-أقسام الحذف : ينقسم الحذف إلى الأقسام الآتية :

1.2.2 حذف حرف: نحو قوله تعالى: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ (يوسف85)، حيث حذف حرف النفي (لا)، ولا يحذف النافي الذي معها قياسا إلا في القسم، وقد يحذف شذوذا دون القسم[10]، ومن ذلك قولنا: (لا تكاد تذكر)، فتصير بعد الحذف: (تكاد تذكر)، وتبقى الدلالة – في الجملتين- على النفي.

ففي الآية السابقة حذف حرف النفي (لا) قبل (تفتأ)، فالبنية العميقة للجملة هي (لا تفتأ أنت)، وبعد الحذف تنتقل إلى البنية السطحية (تفتأ)؛ وهو حذف اختياري.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿وما كان الله لْيُعَذِّبَهم وأنت فيهم﴾ (الأنفال.الآية:33)، حيث أضمرت (أنْ) وجوبا لوقعوها بعد لام الجحود، التي يسبقها النفي المقترن بالناسخ (كان)، وقبل الحذف تكون الجملة في قولنا: (وما كان الله لأنْ يعذبَ الكافرين)، فحذفت (أنْ) حذفا إجباريا، وحذف المفعول به اختياريا، والتعويض عنه بأنْ تحوّل إلى ضمير متصل يدل عليه (ليعذبهم).

2.2.2 حذف اسم: نحو حذف المسند (الخبر)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا فَلِنَفْسِه ومَن أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾ (الجاثية.الآية:15)، حيث حذف المسند إليه (الإنسان)، وأصل الكلام قولنا: (إذا عمل الإنسان عملا صالحا فعمله لنفسه)، حيث تحولت الجملة بعد الحذف الاختياري للفاعل (الإنسان)، والمفعول به (عملا). [11]

و(عملا) في جملة: (عمل عملا صالحا): مفعول به، وليست مفعولا مطلقا؛ لأنها تدل على تنكير العمل، حتى يدل على أيّ عمل مهما كان نوعه، فالمهم أن يكون صالحا، والأصل: من عَمل وَاحِدًا من الأعمال الصالحة، أو عمل أيّ عمل من بين الأعمال الصالحة. ولو كان مفعولا مطلقا، لدلّ على قوة فعل العمل في عمل محدد.

3.2.2 حذف الفعل: نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق.الآية:1-3)، والأصل في تقديرنا: (إذا انشقت السماء انشقت. وأذنب لرب السماء وحقت. وإذا مدت الأرض مدت)، حيث حذف الفعل (انشقت) وجوبا، وبقي الاسم الذي بعده مرفوعا بفعل محذوف وجوبا يفسره الفعل الذي بعده، وحذف وجوبا لوقوعه بعد إذا الشرطية لما يستقبل من الزمان[12]

ومن أمثلة حذف الفعل؛ قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (الزمر.الآية:25)، والأصل في تقديرنا: (ليقولن خلق الله)، إذ حذف الفعل (خلقهن) جوازا لدلالة السياق عليه[13]
وقد ذكر الفعل المحذوف في قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ (الزخرف.الآية:9)

4.2.2 حذف متعلق الفعل: نحو قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ (الأنبياء.الآية:23) وتقدير الكلام: (وهم يسألون عما يفعلون)، فحذف متعلق الفعل إيجازا.

5.2.2 حذف المفعول به: نحو قوله تعالى مخاطبا النبي نوحا عليه السلام في ابنه: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عَمَل غير صالح﴾ (هود.الآية:46)، وتقدير الكلام: (إن الابن كنعان ليس من أهلك. إن كنعانَ عمل عملا غير صالح)، فحذف المفعول به (عملا).

وقرأ الكسائي: (عَمل) على صيغة الفعل الماضي: (إنه عَمِل غيرَ صالح) والمعنى: إنّ ابنك عمل عملا غير صالح؛ يعني أشرك وكذب، وكلمة (غيرَ) نصب؛ لأنها نعت لمصدر محذوف، وقرأها الباقون: (عَمَلٌ) بالرفع والتنوين، والتقدير في وصفه بكونه عملا غير صالح وُجوهٌ أهمها: أن الرجل إذا كثر عمله وإحسانه، يقال له: إنه علم وكرم وجود، فكذا ها هنا لمّا كثر إقدام ابن نوح على الأعمال الباطلة، حكم عليه بأنه في نفسه عملٌ باطل، ووجه آخر أنْ يكون المراد بأنه ذو عمل باطل، فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه [14]

6.2.2 حذف الفاعل وتعويضه: نحو قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الإنسانُ من عجل﴾(الأنبياء.الآية:37)، حيث حذف الفاعل: لفظ الجلالة (الله)، جوازا، وعوض عنه بالمفعول به: (الإنسان) الذي صار في الجملة نائبا للفاعل، والتقدير: (خَلَقَ اللهُ الإنسانَ من عجل).

7.2.2 حذف جملة: نحو قوله تعالى:﴿والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا. يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة﴾ (النازعات.الآية:1–7)، حيث حذفت جملة جواب القسم: (لتبعثن)، وتقدير الكلام: (والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا. لتبعثن ثم لتنبؤنّ بأعمالكم يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة).

8.2.2 حذف جمل كثيرة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون. يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ (يوسف.الآية:45–46)، وتقدير الكلام: (أنا أنبئكم بتأويل الرؤيا فأرسلون إلى يوسف. فأرسَلوه إلى يوسفَ، فذهب الرسول إلى يوسف، فقال له: يا يوسف يا أيها الصديق أفتنا).

3 التمدد أو التوسع :

التمدد أو التوسع هو أن يأتي المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو الحال وغير ذلك جملةً أو مصدرا مؤولا أو شبهَ جملةٍ.

ومن أمثلة تمدّد المبتدأ، في قوله تعالى: ﴿أنْ تصوموا خير لكم﴾ (البقرة.الآية:184)؛ فالجملة: (أن تصوموا) مصدر مؤول في محلّ رفع مبتدأ وهو البنية السطحية، والمعنى هو: صيامُكم خير لكم، وهو البنية العميقة للجملة، إذ تمدّد المبتدأ (صيامكم) إلى المصدر المؤول (أن تصوموا).

ومن أمثلة تمدد الفاعل؛ قوله تعالى: ﴿أوَلَمْ يكفهم أنا أنزلنا﴾ (العنكبوت.الآية:51)، والتقدير في بنية عميقة هو: (إنزالنا) بدلا من: (أنا أنزلنا)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد الفاعل (إنزالنا) إلى جملة (أنا أنزلنا)، ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ (الجن.الآية:1)

والتقدير في بنية عميقة: (قل أوحي إليّ استماعُ نفر من الجن)، وبتطبيق قانون التمدد والتوسع تمدد نائب الفاعل: (استماع) إلى جملة: (أنه استمع) وهي البنية السطحية للجملة.

ومن أمثلة تمدّد المفعول به إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة.الآية:105)، والتقدير في بنية عميقة هو: (خيرا) بدلا من: (من خير) وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد المفعول به (خيرا) إلى شبه جملة من جار ومجرور (من خير).

ومن أمثلة تمدّد خبر (إنَّ) إلى شبه جملة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ (فصلت.الآية:43)، والتقدير في بنية عميقة هو: (إنّ ربك لغفور)، بدلا من: (إنّ ربك لذو مغفرة)، وهي البنية السطحية للجملة، إذ تمدد خبر إنّ: (لغفور)، إلى جملة مكونة من الاسم المضاف (ذو)؛ الذي هو من الأسماء الخمسة، ويعرب في سياق الآية خبرا مرفوعا وعلامة رفعه الواو، والمضاف إليه (مغفرة)، وقد وردت البنية العميقة:(غفور) في سياقات أخرى نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف.الآية:153)

4 الزيادة أو الإقحام:

هي أن يعاد ذكر المؤكد بلفظه، سواء أكان فعلا أم اسما أم حرفا أم اسم فعل أم جملة، أم مصدرا، أم ضميرا وغير ذلك، أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة، التي تفيد تقوية المعنى المراد توكيده[15]

وعلامة زيادة الحروف: أن تحذف، فلا يحدث تأثير في المعنى، من الناحية اللغوية[16]، وإنّما يؤتى بها لتقوية المعنى وتأكيده، وغرض الإعادة هو التأكيد.

ويكون التوكيد اللفظي في الاسم النكرة بالإجماع، نحو التوكيدات بالتكرار، الواردة في السياقات القرآنية المختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿قواريراً قواريرَ﴾ (الإنسان.15-16)، وجعل ابن مالك وابن عصفور منها: ﴿دكّا دكا﴾ (الفجر.21) و﴿صفّا صفّا﴾ (الفجر.الآية:22)؛ وهو قول مردود بحسب رأي الزركشي؛ لأنه جاء في التفسير أنّ معنى: (دكا دكا) هو دك بعد دك، وأن الدكّ كرر عليها حتى صار هباء منثورا، وأن معنى: (صفا صفا)؛ أن ملائكة كل سماء ينزلون فيصطفون صفا بعد صف، محدقين بالإنس والجن، وعلى هذا فليس الثاني منهما تكرارا للأول؛ بل المراد به التكثير ؛ نحو: جاء القوم رجلا رجلا، وعلّمته الحساب بابا بابا [17]

وأما محمد الطاهر بن عاشور فَفَسّر قوله تعالى: ﴿كَلا إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (سورة الفجر.الآية21)، بأنّ: (دكا) الثانية هي تأكيد لـ(دكا) الأولى، وفي هذا يقول: (ولعلّ تأكيده هنا؛ لأن هذه الآية أول آية ذكر فيها دك الجبال، ولمّا كان أمرا خارقا للعادة، كان المقام مقتضيا تحقيق وقوعه حقيقة دون مجاز ولا مبالغة، فأكّد مرتين هنا،ولم يؤكد نظيره في قوله: فدكتا دكة واحدة في سورة الحاقة؛ فـ(دكا) أول مقصود به هو رفع احتمال المجاز عن (دكتا) الدك؛ أي: هو دك حقيقي، و(دكا) الثاني منصوبا على التوكيد اللفظي لـ (دكا) الأول، لزيادة تحقيق إرادة مدلول الدك الحقيقي؛ لأن دك الأرض العظيمة أمر عجيب، فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي وعلى هذا درج الرضي، قال: ويُستثنى من منع تأكيد النكرات –أي

تأكيدا لفظيا– شيءٌ واحد، وهو جواز تأكيدها إذا كانت النكرة حكما لا محكوما عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم: فنكاحها باطل باطل باطل، ومثله قوله تعالى: (دكت الأرض دكا دكا)، مثل: ضرب ضرب زيد)[18]

ومن الزيادة والإقحام، تكرار اسم الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿هيهات هيهات لِمَا تُوعَدون﴾ (المؤمنون.الآية:36)، حيث تكرر اسم الفعل: (هيهات) مرتين والغرض من الزيادة هنا هو التوكيد.

ويكون تكرار اللفظ بمرادفه نحو قوله تعالى: ﴿ضيقا حرجا﴾ (الأنعام.الآية:125) بكسر الراء، وقوله تعالى: ﴿قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ (الحديد.الآية:13) فـ(وراء) هنا ليس ظرفا؛ لأن اللفظ (ارجعوا) ينبئ عنه، بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال: ارجعوا، ارجعوا[19]

ومثال تكرار اللفظ بالفعل قوله تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم﴾ (الطارق.الآية:17) .

وأما تكرار اللفظ بالحرف، فنحو قوله تعالى:﴿ففي الجنة خالدين فيها﴾ (هود.الآية:108)، وقوله: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ (المؤمنون.الآية:35).

ومن الزيادة، تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، نحو قوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أنتَ وزوجك الجنّةَ﴾ (البقرة.الآية:35)، وقوله سبحانه: ﴿فاذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا﴾ (المائدة:124) وقوله عز وجل: ﴿وإمّا أنْ نكونَ نحن المُلْقِين﴾ (الأعراف.الآية:115).

ومن تأكيد المنفصل بمثله، قوله تعالى: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ (يوسف.الآية:37) .

ومن الزيادة، تأكيد الفعل بمصدره ، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿وكلم موسى تكليما﴾ (النساء.الآية:164) فالمفعول المطلق (تكليما) هو لتوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ويسلموا تسليما﴾ (الأحزاب.الآية:65)، وقوله سبحانه:

﴿تَمُورُ السماء مورا. وتسير الجبال سيرا﴾ (الطور.الآية:9–10)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿جزاؤكم جزاء موفورا﴾ (الإسراء:63)

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد، نحو قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الأحزاب.الآية:4) وقوله: ﴿وسرّحوهنّ سراحا جميلا﴾ (الأحزاب.الآية:49) وقد يضاف وصفه إليه نحو قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران.الآية:102).

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو نيابة عن المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وتبتّلْ إليه تبتيلا﴾ (المزمل.الآية:8) والمصدر تبتلا، والتبتيل مصدر (بتل)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أنبتكم من الأرض نباتا﴾ (نوح:17)؛ أي إنباتا؛ إذ إنّ النّبات اسم عين[20].

أما قوله تعالى:﴿وتظنون بالله الظنونَ﴾ (الأحزاب.الآية:10) فليس من هذا التوكيد لأن الظنون جمع (ظن)، والظنون أنواع مختلفة، وأما قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام.الآية:80)، فيحتمل أن يكون (شيئا) للتوكيد أو تكون بمعنى الأمر والشأن [21]

ونرى أن (شيئا) في قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾ (الأنعام.الآية:80)، تحتمل أمرين فهي: إما مفعول به، وإما مفعول مطلق، وتكون مفعولا به إذا كان القصد أن المشيئة تقع على شيء من الأشياء، ولكن الله تعالى لم يحدده، إنما أراد أيّ شيء مهما كان نوعه فهو الذي يفعل أي شيء يريده، ويشاء أيَّ شيء يشاؤه، وأما إن كانت مفعولا مطلقا، ففي هذه الحال يكون اللفظ (شيئا) إطلاقا للفعل (يشاء)، للدلالة على قوة الفعل وتأكيده.

ومن الزيادةِ الحالُ المؤكدة نحو قوله تعالى: ﴿ويوم أُبْعَثُ حَيّا﴾ (مريم.الآية:33)، وقوله سبحانه: ﴿ولا تَعْثُوا في الأرض مفسدين﴾ (البقرة.الآية:60)، وقوله عز وجل: ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ (النساء.الآية:79)، وقوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ (ق.الآية:31)،لأن الحال (حيا) هي تأكيد للفعل (أبعث)، و(مفسدين) تأكيد للفعل (تعثوا) و(رسولا) تأكيد للفعل (أرسلناك) و(غير بعيد) تأكيد للفعل (أزلفت)[22]

ولا يُعدّ من الحال المؤكدة قول الله تعالى: ﴿وَلَّى مُدبِرا﴾ (النمل.الآية:10)؛ لأن التولية قد لا تكون إدبارا، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ (البقرة: 144)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكا﴾ (النمل.الآية:19)، و﴿وهو الحق مصدقا﴾ (البقرة.الآية:91).

ففي السياقين كليهما لا تُعدّ (ضاحكا) و(مصدقا) من الحال المؤكدة، لأنّ التبسم قد لا يكون ضحكا، والحق مختلف في معناه عن التصديق لما قبله، إذ كونه حقّا في نفسه غير كونه مصدقا لما قبله [23].

ومن الزيادة التأكيد بتكرار الجملة، نحو قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا. إنّ مع العسر يسرا﴾ (الشرح.الآية:5-6) وقوله تعالى: ﴿وما أدراكَ ما يومُ الدينِ. ثم ما أدراكَ ما يوم الدين﴾ (الانفطار.17-18)، وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر.3-4)

5. التقديم والتأخير:

إن لأسلوب التقديم والتأخير سمةً أسلوبيةً عظيمةَ الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة[24]، إذْ إنَّ الجملةَ تتعرض بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها، ويصحب هذا التغييرَ تغيّرٌ في الأغراض التي تعبر عنها اللغة، وهذا التقديم والتأخير إنما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تأكيدا وقوة.

ولأن للتقديمِ والتأخير أهميةً كبيرة، فقد اهتمَّ به اللغويون والنحويون علاوة على البلاغيين، فسيبويه مثلا يرى أنّ التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي، فتقديم ما الأصل فيه التأخير إنما يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه[25]، أما عبد القاهر الجرجاني فقد خصَّصَ له بابا في دلائله، وبخاصة في الشعر، فتراه يقول: ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد السبب أنْ راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحوّل لفظ من مكان إلى مكان[26]

والتقديم والتأخير يجئ للعناية والاهتمام، كما أنه يؤدي وظائف جمالية وبلاغية ولأنه لا يمكن النطق بالكلام دفعة واحدة، فإنه يتطلب تقديم بعضه وتأخير البعض

الآخر بما أنه ليس هناك شيء من إجراء الكلام أحقّ وأولى بالتقديم من الآخر باستثناء ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام.

وأول ما نلاحظه في التقديم في السياق القرآني هو تقديم الفاعل عن الفعل، وقد اختلف البصريون والكوفيون في مسألة تقديم الفاعل عن الفعل؛ فالبصريون يمنعون ذلك ويقدرون فعلا، بينما يرى الكوفيون أنّ الفاعل المقدم يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل آخر.

ويقدم الفاعل على الفعل لاعتبارات عدة لغوية وبلاغية، وهذا التقديم لا يخرج الكلام عن طبيعته؛ لأن الجملة التي يتقدم فيها الفاعل (الاسم) تبقى فعلية، ولا فرقَ بين جملة تقدَّمَ فيها الفعل، وأخرى تقدّم فيها الفاعل، إلا من حيث المستوى التعبيري لكل منهما[27]

ومن العناية والاهتمام أيضا ظاهرة أخرى هي تقديم المجاور المجرور، وهو يمثل ظاهرة تركيبية شائعة في العربية .

ومن المعلوم أن النظام الرئيس للجملة الاسمية، هو المبتدأ ثم يليه الخبر، أما في الجملة الفعلية، فيكون الفعل أولا، ثم الفاعل ثانيا، ثم المفعول به ثالثا إذا كان الفعل متعديا، ثم تأتي الفضلة بعده، إلا أنّ هذا الترتيب قد يتغير، وفق أحوال المتكلم والسياق، فيتم مثلا تقديم الخبر عن المبتدأ، والمفعول به عن الفاعل، ومن ثمَّ يتأخر المبتدأ وكذلك الفاعل.

وللتقديم والتأخير أغراض بلاغية يفرضها المعنى المراد، وضرورات تفرضها البنية السطحية للنص، ولا يكون اعتباطيا سواء أكان ذلك في الجملة الاسمية أم الفعلية.

1.5 التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

من حالات تقديم الخبر وجوبا، أنْ يشمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر[28]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا حسابهم﴾ (الغاشية.الآية:25-26)، والترتيب على الأصل هو : إنّ إيابهم إلينا ثم إنّ حسابهم علينا.

ومن وجوب تقديم الخبر، أن يكون المبتدأ نكرة، والخبر شبه جملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ (البقرة.الآية:36)، وقوله سبحانه: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ (البقرة الآية:10)، ويتقدم الخبر عن المبتدأ وجوبا، إنْ كان المبتدأ محصورا[29]، نحو قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ (المائدة.الآية:99).

2.5 –التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

يتقدم المفعول به على الفعل في السياق القرآني جوازا، ووجوبا، حيث يجب تقديم المفعول على الفعل العامل، إذا كان المفعول به اسمَ شرطٍ، أو اسمَ استفهامٍ، أو ضميرا منفصلا، ويلزم اتصاله لو تأخر، أو أن يكون العامل في المفعول به واقعا في جواب (أما)[30]

ومن أمثلة تقديم المفعول به على الفعل، قوله تعالى: ﴿إياك نعبد. وإياك نستعين﴾ (الفاتحة.الآية:5–6) والتقدير هو: نعبدُ نحنُ إياكَ، ونستعينُ نحنُ إياكَ؛ أي (نبعدُ نحن اللهَ، ونستعينُ نحنُ اللهَ)× وهي البنية العميقة للجملة، وبعد الحذف وإعادة الترتيب والتعويض، تحولت إلى البنية السطحية: (إياك نبعد. وإياك نستعين)، ولو تأخر المفعول به في الآية، لوجب اتصاله؛ لأنه ضمير متصل، إذ تصير الجملة وقتها (نعبدك) [31]، وتقدم المفعول به في الآية للدلالة على تعظيم المعبود وهو الله تعالى.

ومن التقديم والتأخير أيضا قوله تعالى:﴿فأما اليتيمَ فلا تَقهرْ. وأما السائلَ فلا تَنهر﴾ (الضحى.9–10)؛ وتقدير الجملة في بنيتها العميقة هو: (لا تقهر أنتَ اليتيمَ ولا تنهر أنت السائل)، وبعد الحذف، وإعادة الترتيب، أصبحت الجملة: (فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر)، وهي البينة السطحية.

وقد تقدم المفعول به (اليتيم) و(السائل) في سياق الآية، لأنه واقع في جواب (أما) [32]

6. أثر التركيب الجملي في إحداث النغم :

إن الكلمات في تركيبها اللغوي تكتسب نغمة موسيقية، تختلف عذوبتها وقوتها وحسنها وقبحها بحسب النظم، وتأخذ طبيعة في عبارة ما تميزها عن غيرها، وقد تنبّه إلى هذا البلاغيون العرب القدماء، فتناولوا تراكيب الكلمات والجمل بالدراسة والتحليل ومن بينهم الجاحظ، حيث يقول: (فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح وكله عربي وبكلٍّ قد تكلموا)[33]، بالاعتماد على ترتيب الكلمات الحروف وتركيبها في سياق معين يخلق نغما تعبيريا موسيقيا، وأيّ تغير في النغم قد يفقد العباراتِ قيمتَهَا.

ولهذا ركز الجاحظ على ضرورة حسن صوغ الكلمات ودقة التركيب من أجل جمال النظم، لأنه يجعل المعنى جميلا، قال الجاحظ: (ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، والصوت هو وسيلة الإنسان التعبيرية في الكلام، والتصويت سمة يشترك فيها الإنسان والحيوان) [34]

وتظهر أهمية الصوت في التركيب اللغوي في ربط الجمل وحسن تناسقها وانسجامها فيما بينها في السياق، ويوضح هذا الأمرَ عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في قوله: (إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر) [35]

ويرى الجرجاني أنّ النظم هو سرّ جمال العبارة، وأنه سر الإعجاز الذي تحدّى به القرآنُ الكريمُ أهلَ الفصاحةِ والبلاغة من العرب والقُرَشِيينَ، حين طلب منهم أنْ يأتوا بسورة من مثله، قال الجرجاني عن إعجاز القرآن: (أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل مساق كل خبر، وصورة كلّ عِظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجّة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة [1]ينبو مكانها ولفظة ينكر شأنها، ويرى أن هناك أصلح من هناك أو أشبه، أو أحرى، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منه موضع طمع، حتى خرست الألسن عنْ أنْ تدّعي وتقول) [36].

1

ويقول الخطابي: (إنّ القرآن إنما صار معجزا، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنّا أصح المعاني... ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه) [37].

ومن أمثلة هذا النظم، قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود.الآية:44). قال الجرجاني في سياق هذه الآية: (وإنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضها ببعض، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية... الفضل الناتج بينهما، وحصل من مجموعها فتأمل، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية: (ابلعي)، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (يا) دون (أي) نحو (يا أيتها الأرض) ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف) دون أن يقال: (ابلعي الماء) ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من يقال شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها... تعلقاً باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموع وحروف تتوالى في النطق[38].

إن السياق القرآني كله نظم رائع لا تخلو منه عبارة واحدة من هذا النغم، وهذه هي المثالية في تناسب الألفاظ وحسن تجاورها، وتناسقها فيما بينها، وحسن مواضع الكلمات، ومن الأمثلة الكثيرة جدا، قوله تعالى: ﴿ألم. ذلك الكتاب لا ريبَ فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة.الآية:1-2).

إذ حللها الزمخشري (ت:538هـ)، فقال: (الذي هو أرسخ في البلاغة عرفاً أن يضرب عن هذا المحال وأن يقال إنّ قوله: (ألم) هي جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم،

حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير صرف نسق (عطف)، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض بعد أن رتبت هذا الترتيب، الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة، ففي الأولى الحذف، وفي الثانية ما في التصريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكراً والإيجاز في ذكر المتقين) (39)

ومن أمثلة حسن استعمال اللفظ في مكانه المناسب، حتى لا تكاد تجد بديلا له في ذلك الموضع، حلّل ابن الأثير (ت:63هـ) قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأحزاب.الآية:53)، فقال: (إن لفظة (يؤذي) في سياق الآية جاءت سلسة عذبة خفيفة على السمع ترتاح لها النفس وتطمئن لها القلوب، لأنّ الصوت القرآني له تأثير في نفس السامع فلا يمله ولو تكرر مرات عدة)(40)

ومن أمثلة هذا النظم الرائع قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة.الآية:96)، قال عبد القاهر الجرجاني في سياق هذه الآية: (إذا أنت راجعت نفسك، وأذكيت حسَّك، وجدت لهذا التنكير –وأنه قال: (عَلَى حَيَاةٍ)، ولم يقل (على الحياة)– حُسْنًا وروعة ولطفَ موقعٍ لا يُقْدَرُ قَدْرُه، وتجدك تَعْدَم ذلك مع التعريف وتخرج من الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أنّ المعنى على الازدياد من الحياة، لا الحياة من أصلها... فكأنما قال: ولتجدنهم أحرصَ الناس، ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل)(41).

وقال الجرجاني عن أهمية موضع الكلمة مرتبة في السياق: (فلو كانت الكلمة إذا حسنت من حيث هي لفظٌ، وإذا استحقّت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها، وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك ما لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال،ولكانت إمّا أن تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا) (42).

الهوامش:

[1]– **عمايرة** خليل أحمد: في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط:1، 1987م ص:28

[2]– **ياقوت** (محمود سليمان): منهج البحث اللغوي. دار المعرفة الجامعية مصر، ط:1، 2011م، ص:133

[3]– **عبد التواب** (رمضان): المدخل إلى علم اللغة ومنهج البحث اللغوي. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:3 1997م، ص:188

[4]– **الأسود** (محمد خليفة): التمهيد في علم اللغة. منشورات جامعة 7 أفريل، ليبيا، ط1: 1996م، ص:69

[5]– **عمايرة** خليل أحمد: المرجع السابق. ص:155

[6]– المرجع نفسه. ص: 88

[7]– ينظر: **البهنساوي** (حسام): أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994م، ص:37

[8]– **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة بيروت، 1981م. ص:149

[9] – **حماسة** محمد: في بناء الجملة العربية دار الشروق، مصر، ط:1، 1996م. ص: 346

[10]– **بهنساوي** حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م ص:37

[11]– ابن **عقيل**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث، القاهرة، 1980م. ص:288

[12]– المرجع نفسه. ص:11

[13]– **العربي** (الشريف): دروس في البلاغة العربية. دار الشموع والثقافة، الزاوية، ليبيا، 2002م، ص:13

[14]– **الرازي**: التفسير الكبير (تفسير القرآن). دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2004م. ص:3

[15] – **مزيان** علي: الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم. أساريا للطباعة والنشر، الزاوية،2001م، ص:132

[16] – **العربي** الشريف: المرجع السابق. ص:31

[17] – **الزركشي**: البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1990م. ص:486

[18] – ابن **عاشور** محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت. ص:336

[19] – **السيوطي** جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني القاهرة، 1967م ص: 105

[20]– المرجع نفسه. ص: 106

[21]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[22]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[23]– المرجع نفسه. ص:107

[24] – **المطعمي** (عبد العظيم): خصائص التعبير القرآني البلاغية. مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م. ص:79

[25] – **سيبويه**: الكتاب. تحقيق: السيرافي. المطبعة الأميرية، مصر، ط:1، 1316هـ ج:1، ص:27

[26] – **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الإعجاز. ص: 137

[27] – **بلخير** لخضر: التركيب اللغوي. دار الهدى، الجزائر، د.ت، ص:157

[28]– ابن **عقيل**: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص:244

[29]– المرجع نفسه. ص:226

[30]– المرجع نفسه. ص:440

[31]– المرجع نفسه. ص:440

[32]– المرجع نفسه. الصفحة نفسها

[33]– **الجاحظ**: البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ط:2 1968م ج:1، ص:144

[34]– ينظر: **الجاحظ**: الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع بيروت، ط:1، 1996م.ج: 4، ص:90

[35]– **الجرجاني** عبد القاهر: دلائل الأعجاز. ص:38

[36]– المصدر نفسه. ص:84

[37]– **الخطابي**: بيان إعجاز القرآن. دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص:27

[38] – **الجرجاني** عبد القاهر. المصدر السابق. ص:46

[39]– **الزمخشري**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م ج:1، ص:92

[40]– ابن **الأثير**: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار الرفاعي، الرياض ط:2، 1983م. ص:215

[41]– **الجرجاني** عبد القاهر: المصدر السابق. ص:42

[42]– المصدر نفسه. ص:24

مجلة الآداب واللغات المجلد(08)العدد(02)جوان/جويلية2022، ص. ص57-79

محامد الحداثة ومآخذها في الشعر الجزائري المعاصر
حقبة السبعينيات أنموذجا

The advantages and disadvantages of modernity in contemporary Algerian poetry: The seventies as a model

كمال لعور **1***

1جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، *laouer.kamel@yahoo.com*

الملخص :

تمثل فترة السبعينيات بالجزائر منطلق الحداثة الشعرية بوجهها السافر، وهي من بواكير محطات الاصطدام الحقيقي بالثوابت والتراث العربي الرصين، لقد كانت ساحة أدبية محتدمة في صراعها، متنوعة في تجريب أشكال كتابية حداثية، وقد بالغ شبابها إلى حد التطرف في استلهام فنيات الغرب والشرق من تناص وغموض، ورموز، وأقنعة، واستحال بعضهم الآخر بوقا للأيديولوجيا، فأعاد تدوير نزعات الخطابية والتقريرية التي أبت الانقراض من خطابنا الشعري، ولم يستطع هؤلاء الفرقاء – إلا قليلا– التملص من ظل الشعرية المشرقية الحداثي الذي ألقى بكلكله على المشهد الشعري الجزائري، فكان يغري ولا يغني إلا تقليدا وتسطحا.

الكلمات المفتاحية:

الحداثة– السبعينيات – التناص – الرمز – الغموض.

Abstract

The seventies in Algeria represents the starting point of poetic modernity with its blatant face, and it is the first stage of a true collision with the constants and sober Arab heritage,It was a literary arena raging in its struggle, diverse in experimenting with modernist writing forms. Most of the young poets reached the point of extremism in drawing inspiration from the techniques of the West and the East from intertextuality, ambiguity, symbols, and masks،Others became a mouthpiece for ideology, and recycled discursive and deterministic tendencies that refused to go extinct, These poets could only a little out of the modern shade of oriental poetry that cast a shadow on the Algerian poetic scene, and its results were nothing but more imitation and superficiality.

*المؤلف المرسل.

Keywords:
Modernity; Seventies; Intertextuality; code; Ambiguity,

المقدمة:

ألفى الشعراء الشباب الساحة الأدبية الجزائرية في حقبة السبعينيات خالية على عروشها، فيموا شطر شعر المشارقة، فعكفوا على نصوص نزار قباني، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ومحمود درويش، وصلاح عبد الصبور، وأدونيس، فمكنتهم الترجمات من التواصل مع شعر ناظم حكمت التركي، ولوركا غارسيا الاسباني، وبابلو نيرودا الشيلي، و بودلير ورامبو الفرنسيين، وغيرهم من شعراء الحداثة، وقد انقسم الشعراء على حد تعبير الناقد أبي القاسم سعد الله إلى صنفين، صنف يهتم بالدرجة الأولى بالفن لا غير، وصنف ثاني لا يبالي بمتطلبات الفن مادام له خط سياسي أو عقائدي معين، أو مقسمين بين مؤيدين لمدرسة السياب التراثية أو مؤمنين بمدرسة أدونيس "أحمد سعيد عقل" الانفصالية وكان الشعراء الشباب بين نارين، نار الماركسية المتطرفة التي تؤمن بالموقف السياسي والأيديولوجيا قبل الارتكان لبنية النص وجمالياته، فسيان عندها النصوص الجيدة والنصوص الرديئة إذا ما خدمت مواقفها، وبين نار التطرف الفكري التي حملت بعض الشعراء ليسير في موكب أدباء مجلة شعر كأدونيس ويوسف الخال، ويتبنى أفكارهم المعادية للتراث، فهل كان ذلك خيرا أريد بالقصيدة العربية، أم أنه وبال حاق بما تبقى من شعرية جزائرية في ظل سطوة الأيديولوجيا؟

يتطلب منا سياق البحث ونحن نتتبع سير الحداثة الشعرية في حقبة محددة سلفا التوسل بالمنهج التحليلي الوصفي مع استلهام بعض اجراءات الموازنة للمقابلة بين أشكال في التعبير الشعري تتآلف أحيانا وتتناكر أحيانا أخرى، وليس ذلك إلا بسبب فتوة تجربة الحداثة الشعرية السبعينية، وعدم سبر الشعراء الشباب لأغوارها.

بين أصالة اللغة والتساهل في القاموس الرصين:

اكتسب الشعر الحداثي في الجزائر خلال الفترة المدروسة سمات جديدة طورت القصيدة شكلا ومضمونا وجعلتها أحرص على مواكبة الحاضر، وتبدت

النصوص الشعرية أكثر تعبيرا عن ذات الشاعر، وغدا الشعر رؤيا قبل أن يكون قالبا وصناعة ، وسقطت عن الشعر ألياف الكلمات الممضوغة مثلما كان يردد نزار قباني، ولم يعد الشعر هو التعبير عن عالم غير اعتيادي، ولكنه التعبير غير الاعتيادي عن عالم اعتيادي على حد تعبير جون كوهين[1]، يعني ذلك أن الشعر بموجب النظرة الحداثية يخرق نظام اللغة، ويتجاوز اللغة الوظيفية، وينحت أشكالا جديدة مبهرة، وقد تحول النص الابداعي من بنية مغلقة الى بنية منفتحة على الاختلاف والمغايرة، ولا هو يتموضع من خلال النظرة العقلية في نسجه لعلاقات الأشياء ببعضها، بل يسعى الى استضافة اللامعقول والخيالي.[2]

وظهر شعراء جزائريون على ساحة الكتابة الأدبية حافظوا على أصالة لغتهم، وسلامة أساليبهم، وطرق تعبيرهم مثل مصطفى الغماري، ومحمد بن رقطان، وجمال الطاهري، وعبدالله حمادي، وعياش يحياوي، فكان تعاملهم مع التراث القديم تعاملا واعيا يقوم على دراية متأنية بالأساليب العربية الصحيحة.[3]

[1] محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت 1979 ، ص 168.

[2] ينظر: عبد العليم محمد اسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الفكر العربي مصر، 2011، ص 160.

[3] ينظر: محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية،1925.1975 ط2،دار الغرب الاسلامي، بيروت 2006 ص: 359. 366

ويقابلهم فئة من الشعراء أضحت الأخطاء النحوية والصرفية عندهم ظاهرة مرضية وفق منظور الباحث محمد ناصر، لأنهم أداروا ظهورهم للتراث منهم أزراج عمر، وأحمد حمدي، وعبد العالي رزاقي، وأحلام مستغانمي.

ويعزى تفاقم هذه الظاهرة إلى مأساة الاغتراب اللغوي، والاكتفاء بالقراءة في الشعر الحديث والمعاصر، "كما يُردّ هذا إلى أن أغلبية هؤلاء الشعراء مدمنون على قراءة الشعر الوافد من لبنان أكثر من قراءتهم الشعر الوافد من العراق، أو من مصر، أو من سوريا، وقد بات معروفا ما آل إليه الشعر الجديد من حيث مستواه اللغوي في لبنان، وكيف شوهت أصالته العربية النظريات الغربية التي تتعمد تجاوز قواعد اللغة العربية من نحو، وصرف وبلاغة، وعروض بدعوى التجديد المستمر"[4] ويمكن أن يعزى أيضا إلى لغة الكلام التي وظفها شعراء الحداثة في المشرق، وبالأخص عند شعراء مصر محاكاة للغة الواقع والراهن واليومي، وسار في فلكهم الشعراء الجزائريون.

لقد شعرت نازك الملائكة في وقت مبكر بمأساة ركاكة التعبير الشعري الجديد، واستخفافه بالأخطاء النحوية والصرفية بل واعتباره قناة شرعية لا تفتح إلا للشعراء، وتوصد دونهم بدعوى "أن الشاعر ليس عالما في اللغة، وإنما هو منشد يفصح عن عواطفه بين يدي جمهور يحب الشعر ولا يحب القواعد"[5] ؛ وهي تصر في كل الحالات على أن تطور اللغات الذي يؤمن به لفيف من الأدباء ويعملون بموجبه على تطوير الأدوات الشعرية لا يعني التساهل في قواعد اللغة.

وامتحن الشعر الجزائري بدمار آخر فيه تعابير تثور على القيم بنقمة متلاطمة تخرق طابوه الدين لتجعل الشعر في مواجهة العقيدة وثوابتها على غرار ما أنجزه نزار قباني وأدونيس، يستبيح سليمان جوادي لنفسه هذا الأسلوب منتشيا بلحظة انتفاض بوهيمية:

أشوه وجهَ الأرض

---

[4] المرجع نفسه، ص: 366

[5] نازك الملائكة: سايكولوجية الشعر، ومقالات أخرى، 2000 الأمل للطباعة والنشر، مصر ص15.

أشوه وجْهَ الله
وأشربُ خمْرا في أقداح فِضِيَة
مخطئ هذا الذي يُدعى قَدَر
مذنب هذا الذي يُدعى قَدَرْ
كان في النية أن نُلقِي بسَيفِ ابن الوَلِيد
كان في النِيةِ أن نَمْحُو أخْبار عُمَر..

وليس الشاعر وحده يتحمل جريرة هذا اللغة، فلم يسلم من الترويج للبضاعة الفاسدة بعض النقاد بازدرائهم لتتبع قواعد اللغة في الشعر بحجة أن الاهتمام باللغة والحرص على قواعدها المختلفة يدلان على جمود فكري في الأديب، أو يشيران إلى نقص صريح في ثقافته الحديثة حتى صار الجديد يتجلى في ازدراء القواعد النحوية، واهمال القاموس، والمقاييس اللغوية.[6]

من التقريرية والخطابية إلى الترميز:

غدت لغة الشعر الجزائري المعاصر مشحونة بالدلالة والإيحاء، لا يقتنع الشعراء إلا بتوظيف سلسلة من الرموز المتنوعة بحكم قراءتهم من الأدب الحداثي المشرقي وانفتاحهم اللامشروط على الأدب الغربي، وقد التف شعراء الجزائر حول الرموز المحلية واحتفوا بها، فكان ولعهم بتوظيف الأوراس كرمز للشموخ واستنطاقه ومحاورته ، بعد أن تحول إلى رمز كبير للمقاومة الجزائرية، والممانعة العربية، فلا شاعر عربي ألهمته الثورة إلا وأشاد بقلعة الأوراس، بتلك الجبال الشامخة التي رعت المجاهدين، وحملت عبق الثورة والحرية في أحراشها، وقممها وسفوحها، حتى خصص الركيبي كتابا كاملا حول الأوراس في الشعر العربي، وقد صرح بأن "الشعراء العرب جسدوا حلمهم في تحقيق الحرية من خلال الأوراس وتعلقوا به إلى درجة يمكن معها القول بأنه ما من شاعر عربي إلا وذكر الأوراس في شعره، وربما كان ذكر الأوراس جواز مرور القصيدة إلى النشر حتى ولو لم تكن في مستوى يؤهلها لذلك".[7]

---

[6] نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، مصر ، 1967، ص290

[7] ينظر: عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي، ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص: 11.

يقول عبد العالي رزاقي وهو يعتصر ذاكرة الوطن من قصيدة سنابل الحقيقة:

كلُ ما أعْرفه عن وَطَنِي
قصةُ ثائِر
كان فلاحًا، على كتِفَيْه
محراثٌ، وفأسٌ.. وبشائر
دمهُ جدولُ الأوراسْ
عَيناهُ بيَادِر

وقد صار هذا الرمز "وشما خالدا في الذاكرة الثورية العربية والإسلامية والإنسانية، فهو شهادة ميلاد الثورة المعجزة، ومسقط رصاصها، وقد صار الأوراس في نظر وغليسي ليس رمزا فقط بل تعويضا نفسيا عن خيبات متوالية للواقع العربي.[8]

كما أن الشاعر الجزائري يرفض أحيانا توظيف الرموز الغريبة عن بيئته وتاريخ الجزائر فهو يؤمن بالمحلية، و هي ليست نظرة تتهم بالضيق، وإنما سعي واع يبغي إكساب الأدوات الفنية سبغة محلية، فالبيئة منذ الأزل هي مصدر إلهام الشاعر، وموطن أدواته التعبيرية، والشعراء الجزائريون أولعوا برمز الأوراس بعد الثورة لا كإطار مكاني مجرد، ولكنهم يحنون إليه كذكرى وطنية خالدة، وفضاء ثوري رحب.

ويسعى الشاعر الجزائري أحيانا إلى اقتفاء أثر الشعراء المشارقة في استحضار رموز عربية كالحلاج أو السندباد مما ينم عن بقاء التأثر بالمشارقة فاعلا في النص الجزائري، سواء في الأدب القديم أو الحديث، بل إنه نفوذ تكشف في العقود الأخيرة إلى درجة إثخان الذات المبدعة عن العروج بعيدا، وتفيأ ظلال رؤى فردانية.

يقول محمد زتيلي[9] من ديوان فصول الحب والتحول:

يا حَلاج
يا مأساةً أعمقُ من مأساةِ العمر
يا بؤسَ (الكونِ) الكَامنِ في أعماقِ الكَلمَة

[8] يوسف وغليسي : في ظلال النصوص، ط1، جسور للنشر، الجزائر، 2009، ص 124.

[9] شاعر وكاتب من مواليد سنة 1952 بقسنطينة، متخرج من كلية الحقوق من أعماله الأولى رواية الأكواخ تحترق، وديوان فصول الحب والتحول، عمل مديرا للثقافة، ومستشارا بوزارة الثقافة.

هلْ أبكِي في حَضرتِكَ الآن
أم اصغِي للأسْفارِ القَادِمَة
أم أَرحلُ نحوكَ باستِمْرار

فكثيرا ما اتخذ الحلاج في فكر للحداثيين وتصورهم رمزا للمضطهد سواء أكان مفكرا أم مثقفا أم شاعرا أم عرابا سابقا لزمنه لم يدرك الناس تصوره وفكره، والسندباد المستوحى من التراث المشرقي العربي يعبر بدوره عن المغامرة والعودة الغانمة.

وهذه الشخصيات المنتخبة من قبل الشعراء من عمق التاريخ العربي والإسلامي بمثابة الأقنعة التي يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده، أو يحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها، ويشترك الشعر مع المسرحية الشعرية في استخدام هذه الوسيلة كما تشترك في ذلك القصة القصيرة، وأضحى الشعراء يتفننون في الأقنعة تعبيرا عن ذواتهم كما يؤكد احسان عباس[10]؛ ويمثل القناع حسبه خلق أسطورة تاريخية ـ لا تاريخا حقيقيا ـ، فهو من هذه الناحية تعبير عن التضايق من التاريخ الحقيقي بخلق بديل له (الأسطورة) أو هو محاولة لخلق موقف درامي بعيدا عن التحدث بضمير المتكلم، لكن رقة الحاجز بين الأصل والقناع تضع هذه الدرامية في أبسط حالاتها، كما أن حضور الأصل باستمرار من وراء الستار يقلل التنوع في الأقنعة على اختلاف أسمائها، وكأن نجاح القناع أو توظيف الشخصية التاريخية مرهون نجاحه بمدى قدرة الشاعر من تحرير الشخصية المستشهد بها من قبضة التاريخ، وتفوقه في توشيحها بالأسطورة والخيال.

ومن الأقنعة العربية المستوحاة للتعبير عن أحوال العرب بعد النكسة امرؤ القيس الذي أحسنت الشاعرة أحلام مستغانمي[11] توظيفه؛ لترمز به للقادة العرب الذين

---

[10] احسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص: 121

[11] روائية وشاعرة جزائرية، من مواليد 1953 بتونس، نشطت في حقبة السبعينات والثمانينات في مجال الشعر، فنشرت على مرفأ الأيام سنة 1972، ثم اشتهرت مؤخرا في باب الرواية، من أشهر ما كتبته ذاكرة الجسد 1993.

تمثلتهم في صورة هذا الملك الضليل الذي استنجد بالروم للثأر لمقتل والده، وبدل أن يجد المعين من قبلهم أهدوه حلة مسمومة، فتقول في أسلوب نزاري واضح:

قُمْ إنني
يا أيُها الأمِير
أبحثُ في المدَافِن
وأجمع السراب في المداخن
أسْألُ كلَ جِيفَة
أيْنَ بَنُو الأسَد
لا نَبضَ في قُلوبِنا
أين بَنُو الأسد[12]

كما غرفوا من الميتولوجيا الإغريقية على هدي شعراء المدرسة العراقية السيابية، فنجدهم يتمثلون رمز سيزيف معذب الصخرة، فيقول عبد العالي رزاقي:

لُوركا
أنا انسانُ القَرنِ العِشْرين
حتى نَفْسي لم أفْهَمها مُنذ سِنين
لا أعْرِفُ دَربِي من أين؟
آلافُ الأوهَامِ تُعشِشُ في ذاكِرتي
حَكمَت آلهةُ الزَيف
أنْ أحملَ صَخرةَ سِيزيف
أن أقبلَ طَوعا أو كَرها
تأشِيرة نَفْي

لم يعد الشاعر يجد ضيرا ولا حرجا في توظيف الرموز الوثنية، ففي لحظات الثورة العنيفة والانقلاب الجذري ترفس كثير من القيم، ويميم الشعراء نحو منطلقات جديدة، فاستغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث "من أجرأ المواقف الثورية فيه ،

[12] أحلام مستغانمي: على مرفأ الأيام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص: 73.

وأبعدها آثارا حتى اليوم، لأن ذلك استعادة للرموز الوثنية، واستخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر.. حتى أن التاريخ قد حول إلى لون من الأسطورة."13

إن الحماسة التي وجدها الشعراء الجزائريون الشباب في المدرسة الشعرية المشرقية من اعتناء بالميثولوجيا، وانتخاب الأساطير الإغريقية بوعي تارة وبنزق تارة أخرى جعلتهم يتدافعون لتجريب هذه الأشكال والرؤى، فلا يكفي أن تكون هذه الخاصية تعبيرا عن موضة ذلك العصر فقط، بل هي أيضا تعكس حدة الشرخ بين الواقع وزيفه والماضي وفردوسه، في عيون الشاعر الجزائري المعاصر، أو هي بصورة أخرى احتجاج على الشعر العربي القديم الذي انغلق على نفسه في عصور قوته، وأهمل التعالق مع الشعر الإغريقي واليوناني القديم بدعوى الضلالة وتعدد الآلهة.

إلى جانب أسباب عامة تشترك فيها المدرسة المغربية والمشرقية نختزلها في تقليد الشعر الغربي المغرق في الأساطير، ومنذ دراسات فرويد ويونغ لدورها في اللاوعي الانساني، انهارت الحواجز التي كانت دون تقبلها في الشعر العربي الحديث، " وهي من ناحية فنية تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن، ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية، وتنقذ القصيدة من الغنائية المحض.."14

يعد كثير من النقاد أن توظيف الرمز، والقدرة على تعويمه بعبقرية داخل النسيج النصي يمثل تفوقا للشعر الجزائري المعاصر، لأنه يبتكر للغة الشاعر أبعاد مختلفة، حتى اصطلح البعض على تسميته بالبعد الرابع للكلمات15؛ إلى جانب البعد المعجمي والاستعمالي، والمعنوي.

وقد يختار الشاعر شخصية عربية مناضلة مناهضة للظلم كرمز للتحرر والانعتاق، وقد وجد بعض الشعراء مثل حمدي في شخصية المهدي بن بركة الذي

---

[13] ينظر احسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 129.

[14] المرجع نفسه: 130.

[15] التسمية لنازك الملائكة، ينظر: سايكولوجية الشعر، ومقالات أخرى، ص: 56.

اغتيل "غدرا على يد أجراء الفاشية والامبريالية المتشدق بالحريات والحقوق الإنسانية...كما يرمز الشاعر بالمهدي بن بركة و رفاقه الذين قتلوا في سبيل الديمقراطية الشعبية وتحولوا الى وقود للثورة للدلالة على استمرار الصراع وغلبة العنصر الناني على العنصر المتخلف في المجتمع"[16]، فيقول أحمد جمدي بلغة حكائية:

لم يعد نزلٌ بالمدينة ينسَى ملامِحَه
رقم أوراقة..جلده المتشَقِق أو
صوته المتهدج باللهجة المغربية
يا أيها الراقدون تحت التراب
طلع الراقدون...استوى العَرش
أوسدة النعش... كان ابن بركة منتحبا
في شوراع وجدة والحرسُ الملكيُون
يفترشون العيَون

مراكمة شواهد التناص:

إن استخدام الشعراء للعامية في الشعر لم يقف عند حدود المفردات، وإنما تعداه إلى إدخال مقاطع كاملة من الأغاني والمرويات الشعبية نسخا ومسخا وسلخا، أخذا بالتقنيات الجديدة التي شاعت في شعر التفعيلة؛ وأصبحت من فنيات البنية التعبيرية في هذا الاتجاه17؛ وهو ما اصطلح على تسميته منذ الثمانينيات بالتناص؛

[16] حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر، بين الواقع والآفاق، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 65

[17] لم يذكر الناقد محمد ناصر كلمة التناص التي شاعت كممارسة واضحة في الشعر الحداثي، وجعلها تحت مسمى عام : الفنيات، المحاكاة والاقتباس، ولم يصبح المصطلح متداولا إلا في أواسط الثمانينات.

وغلب على شعر هذه الحقبة الاجترار والامتصاص للنصوص السابقة بدل الحوارية التي تعد أرفع مستويات التناص حسب تقسيم الباحث محمد بنيس.18

وقد انتقد "محمد مفتاح" ما اعترى توظيف التناص وتشغيله من تحريف وتحوير وسوء فهم، "فقد غفل كثير من المؤولين عن شروط إمكان انبثاقه، واعتقدوا أنه هو الحديث عن المصادر، أو أنه هو السرقات، وقد صيَر الكثير من المبدعين كتاباتهم كشكولات من الاقتباسات والتضمينات والإشارات... واهية الصلة فيما بينها، ومن لغات مختلفة، لغة فصيحة مقعرة، ولغة عامية مبتذلة، ومن أقوال صوفية إلى أغاني شعبية، وهكذا صارت المؤلفات المعاصرة على شاكلة مؤلفات الأدب القديمة."19

فمن يقرأ بعض قصائد أحلام مستغانمي وعبد العالي رزاقي، و أزراج عمر في هذه الفترة، يقف على رصف لمقاطع أغاني مغربية، وجزائرية بشكل متكلف، مما أبعد القصائد عن روحها الشعرية، وأفقدها بريق الإبداع واستحالت إلى لغة صحف ومناشير، ومما زاد الطين بلة جعل الجملة الشعرية مزيجا من الفصحى والعامية بلا فصل، فلا يدري الشاعر هل يخضعها لقواعد النحو، أو لتسكين الدارجة، وهو "ما زاد النص الشعري اهتزازا وجعل أسلوبه ثقيلا تعبيرا وإيقاعا."20

إن التيار الشعري الجزائري الذي يوظف العامية في بعض كلامه الشعري إنما هو متأثر بالشعر المشرقي الذي تسلل إليه هذا الداء، وقد يحمل الجزائريون الشباب دون غيرهم شيئا من النفور المقصود من الشعر الإصلاحي الذي يمثل حقبة القديم في أدبنا، والذي كانت تسنده لغة رصينة عتيدة قاموسية ألفاظها منتخبة من وسط قرآني ديني قويم، فكانوا يفارقون الوسط بلغة شعبية موحية إيجازية، لكنه لا ينفع مبررا لإشاعة العامية في الوسط الشعري، مفردات وتراكيب، لأن العامية "تبقى لغة

---

[18] محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، ط2 ، 1985، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ص 278.

[19] محمد مفتاح: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999ص: 41

[20] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، ص:380

ساذجة تعكس العواطف البدائية وضحالة الفكر... وقد أسقطت العامية كل ما كان مترابطا في اللغة العربية، وفي كل الحالات تجعلنا نخسر التيار السايكولوجي الذي يمشي في الصيغ العربية، ويجعلها حافلة بالمنطق والعمق، ويستحيل أمرنا إلى الركاكة وعدم الانسجام"[21]

ولعل الأمر برمته يعزى إلى سوء فهم لجوهر الحداثة، فاعتقد البعض أنها هي الاختلاف عن القديم و رأى أصحابها أن مجرد الاختلاف عما سبق دليل على الحداثة، وهذه نظرة آلية تحيل الابداع إلى لعبة من التضاد، فيصبح الإبداع الشعري تموجا سطحيا ينفي بعضه بعضا؛ وعلى النقيض من ذلك اختزلها فريق آخر من شعراء الجزائر على هدي الشعراء المشارقة في "مفهوم المماثلة معتقدين أن الغرب مصدر الحداثة، وتبعا لهذا الرأي حصروا كل حداثة في الشعر الغربي ومعاييره، أي لا حداثة إلا في التماثل معه، ومن هنا ينشأ وهم معياري تصبح فيه مقاييس الحداثة في الغرب وهي في أصلها مستوحاة عن لغة وتجربة خاصة مقاييسا للغة و تجربة من طبيعة أخرى".22

وكان من نتائج ذلك انسياق الشعراء وراء تكرار مجموعة بعينها من المفردات والصور والتركيب والرؤى والأفكار، وكذلك أساليب التعبير[23]، وكأنهم يترامون عطاشا على نبع صغير وحيد لا ثاني له على حد تعبير الناقد حسن فتح الباب.

ولكن بعض النقاد ينوه بتوظيف التراث الشعبي، ويجد له مسوغا يمنحه حق الانتساب للنص الشعري، فتكمن جاذبيته في نظر الناقد احسان عباس من كونه يمثل "جسرا ممتدا بين الشاعر والناس من حوله، فهو بذلك يؤدي دور المسرحية إلى حد ما في إيقاظ الشعور القومي وإبقائه حيا... فيتسع صدر الشعر للفظة الدارجة، والمثل الشعبي، والعادات الشعبية، والأغاني ليقدم شهادة الاعتزاز بالموروث المشترك.[24]

---

[21] بالتصرف: نازك الملائكة: سايكولوجية الشعر، ومقالات أخرى، ص: 33.

[22] أدونيس: الشعرية العربية، ط2 دار الآداب بيروت، 1989 ص94

[23] حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر، بين الواقع والآفاق،ص: 37.

[24] ينظر احسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص: 118.

يقول الشاعر أحمد حمدي من قصيدة انفجارات:

وقد انساب صوتي يحل الطلاسم
ويصمد في حشرجات المواويل
دون احتضار
"والله ما نطبل غنايا
والله ما ني ندرق فيه
جبته عن كل الثوار
ولي في قلبي ما نخبيه"

فلا مفر إذن من الموروث الشعبي الذي يمت بصلة وثيقة إلى حياة الشاعر، والناس، ولكن الاعتدال والتريث في الأخذ به يمثل حجر الزاوية بغرض الحفاظ على البناء الشكلي للقصيدة، وعدم تفكيك الرؤيا الشعرية.

بين الوضوح المجحف و الغموض المسرف:

لقد خنقت الإيديولوجيا بعض أشعار الجزائريين، وقتلت شاعريتها، وجعلتها لا تختلف كثيرا عن الكلام النثري المرسل الذي تختفي ظلاله، ويزول ايحاءه، وتنتفش قعقعته، فأين هو الشعر في كلام عبد العالي رزاقي عندما يقول من ديوان الحب في درجة الصفر[25]:

يا أيها الشعراء
حوّلنا السفينة نحو ميناء جديد
لغة المناجل والمعاول
علمتنا
كيف نحرث، كيف نزرع، كيف نحصد، كيف نبني
كيف نعلي، كيف نصبح ثائرين

[25] عبد العالي رزاقي: الحب في درجة الصفر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2 ، 1983، ص: 60

فهذه العبارات المرصوفة، والكلمات المكدسة بلغة تقريرية(نزرع، نحصد، نبني، نعلي) مع قربها من البناء اللهجي، وغياب العمق والرؤية الشعرية، والتكرار في غير لزوم ودون طائل فني يبرهن على جثوم الشعر، وتعثر مسيره، صحيح أنه يتحدث بلغة (المناجل والمعاول) ولكنه لم يأخذ من هذه الأدوات قوتها ومضائها بل رصفها لخدمة الرؤية الايديولوجية.

قد استيقظ الأدب الجزائري من سباته في فترة السبعينيات، لكنه عاد للهجوع عندما خنقته الايديولوجيا، وكأنه مكتوب على أدبنا أن يكون رهينة في يد المواقف التي تغير أحيانا كالمعاطف بدل أن يكون في خدمة الفن.

إن سيادة المعجم الواقعي في أشعار هذه الحقبة لم يفد الجوانب الفنية في الشعر الجزائري، بل كان سعيه منصبا في التقاط الهموم اليومية للطبقة البروليتارية الكادحة26، فكانت تتردد في أشعارهم مثل هذه المفردات : الفلاح، المعول، السنبلة، الفقر، الجوع، الحصاد، الرغيف، العرق، المناجل، الأطفال....

وأمام الواقعية الاشتراكية بخطابها الرسمي الجاف الذي ساد هذه الحقبة كاد المعجم الوجداني أن يختفي من ساحة الخطاب الشعري الجزائري لولا أن تداركته ثلة من الأقلام مثل سليمان جوادي، ومصطفى الغماري، وغيرهما، فتلك الأيديولوجيا لم تسمح للشاعر بالانسياب المطلق في مجاريه الشعرية الداخلية على حد تعبير الباحث يوسف وغليسي[27] ؛ بل جعلته بوقا للجماعة في المرحلة التي أطلق عليها حقبة البناء الوطني.غأ

لقد شهدت بداية السبعينيات تحولات هامة في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وشهدت أحداثا ثورية وإنجازات مختلفة فيما سمي في عرف ذاك الوقت بالثورة الثقافية والثورة الزراعية والصناعية ؛ فبدأت بوادر نهضة ثقافية تلتمع في الآفاق بظهور أسماء جديدة في الشعر، وصدور صحف ومجلات وطنية، ولم يكن الأمر حكرا على الجزائر بل إن شعر التفعيلة عربيا ارتبط بتيارات شاعت في

[26] ينظر يوسف وغليسي: في ظلال النصوص، ص: 16.

[27] المرجع نفسه، ص:9.

الوطن العربي أبرزها التيار اليساري الاشتراكي، التيار القومي العربي، التيار الوطني، والتيار الليبرالي التقليدي.[28]

في هذه الحقبة بدأ تيار الاشتراكية يكتسح العالم السياسي ويخترق الأسرة والمجتمع والطبقة المثقفة فتأثر الأدب بهذا التغيير، وغنمت منه الايديولوجيا الاشتراكية بواقعيتها ونصرتها للطبقة الكادحة، وإن لم يغنم منه الأدب إلا قليلا، ومن هذا القليل ظهور صحف جزائرية ومجلات تعنى بشأن الأدب كمجلة آمال، الشعب الثقافي ، والمجاهد الأسبوعي.

ولم تكن الاشتراكية كلها بردا وسلاما، بل قد نقلت في جعبتها أفكار التطرف الحمراء إلى الجيل الجديد ، فوراء بعض الكتابات اليسارية التي اتخذت الانتصار للشعر الحر عربيا واجهة للمذهب السياسي، وتحت تأثير بعض الكتابات ذات الطابع المعادي للتراث، ولاسيما النزعة الماركسية داخل الوطن، انفصل بعض الشعراء الشباب عن الآثار الشعرية التراثية، وأصبحوا ينظرون إلى كل ما له علاقة بالتراث أو الدين نظرة ضيقة غير موضوعية، وراح بعضهم يدعو صراحة إلى الانفصال عن التراث القديم عربيا كان أو جزائريا بدعوى عدم تماشيه مع متطلبات العصر، مما كان له انعكاسات على المستوى الفني للشعراء الشباب.

وقد كان الأفق الموسيقي لهؤلاء الشعراء ضيقا لأنهم اقتصروا من بحور الشعر الحر الصافية الستة على ثلاثة بحور هي الرجز والرمل والمتقارب وأهملوا البحر الكامل، والهزج، والمتدارك إلا ما جاء نادرا، مما جعل إيقاع القصائد عندهم ضيقا محدودا الأمر الذي لا نلحظه عند الشعراء المشارقة، ولا سيما الرواد منهم من أمثال السياب وغيره.[29]

أما الظاهرة الموسيقية الثانية التي تفشت في هذه الأشعار ، فهي فشو الأخطاء العروضية بصورة مرضية، فلا يكاد المرء يجد قصيدة واحدة سليمة من

---

[28] عز الدين مناصرة: تذوق النص الأدبي، ط1، عمان دار الحامد للنشر والتوزيع، 2006، ص:67

[29] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، ص: 268.

الزحاف والعلل، وربما يعزى ذلك لضعف الرصيد الثقافي من الشعر القديم لدى شعراء الحداثة ، فقد تجافى بعضهم عن التراث عمدا، ودعا إلى مقاطعته كما رأينا آنفا.

لكن الأخطر من كل ذلك أن تنزل لغة الشعراء إلى المستوى السوقي، ويتدنى معجمهم الشعري إلى استخدام مفردات لغوية بذيئة تحوم حول أجواء الرذيلة والعهر والانحراف، وتتجرأ في الافصاح عن الرغبات الجنسية المكبوتة بألفاظ وتعابير ليس فيها سمو الشعر ولا مثاليته، وقد سجل الباحثان محمد ناصر ، ويوسف وغليسي تعابيرا جمة تنضح بالبذاءة منها: المضاجعة، فض البكارة، الجماع، البول، الغائط، المخاط، وكلمات السب مثل: الكلاب، الجرذان، السلاحف، الذباب، المومس، اللواط، اللقطاء، الخنزير، الخفاش، الصراصير.[30]

فما الذي يجعل الشاعر ينزلق إلى مستوى الشعبوية، والانحلال التعبيري، "وإلى ألفاظ نابية يمجّها الذوق الفني، ويأبى التفاعل النفسي معها، فضلا عن الذوق الأخلاقي"[31]؛ هل هو تلك الدعوة المشبوهة إلى جعل الأدب واقعيا معبرا عن الجماهير بلغتهم؟ أم أنها سكرات الشعراء وغواية شياطينهم التي تنتبذ بهم في كل عصر واد جديد؟ كل ذلك محتمل، والأكثر احتمالا أن حقبة السبعينيات كانت فترة غضب عربي بعد سلسلة من الهزائم والنكسات المضنية لم يتجرعها الشعراء، فصاروا يحملون نوازع الكره والنقمة عكستها تعابيرهم العارية، ومعجمهم السوقي.

إن الوضوح والسطحية أثر من آثار الأيديولوجيا في الشعر الجزائري، حولت الشعراء أدوات في أيدي أفكار سياسية راهنة، وأخضعتهم بشكل أعمى لدعوى اجتماعية الأدب، وقد شعرت نازك بالمصير الخائب لمثل هذا الشعر عندما قالت :"فماذا سينتهي إليه الشعر العربي إن قدر لدعوة الاجتماعية أن تنجح، لا شك في أنه سيصبح نمطا واحدا مصطنعا لا يملك الشاعر أن يحيد عنه، وفي هذا سيلقى الشعر مصيره".[32]

---

[30] المرجع نفسه، ص: 388، وينظر أيضا في ظلال النصوص، ص:82:

[31] يوسف وغليسي: في ظلال النصوص، ص: 27.

[32] قضايا الشعر المعاصر، ص:268.

ولقد وقع بعض الشعراء مثل عبد العالي رزاقي، وسليمان جوادي[33]؛ في فحش الكلام، ونسجوا أشعارا تخدش الحياء العام، والخاص أيضا، "بدعوى تفجير اللغة، أو اختراق جدارها، وغيرها من الدعاوى التي بثها فكر دخيل بهدف تفجير الأمة من داخلها"[34] وفي شعرنا الحديث شعراء متطرفون في نقمتهم كنزار قباني خاصة بعد النكسة، وهجائهم مقذع مثل عبد الوهاب البياتي، اتخذهم الشعراء الشباب مثلا يحتذى، لكن لم يصل بهم الحال أن يسفلوا باللغة والشاعرية إلى الحضيض الذي ما بعده حضيض.

ولقد تراجع القاموس اللغوي لدى بعض الشعراء ليلتقط مفرداته من وسط شعبوي مقلدين لشعراء مشارقة عرفوا بسلاطة اللسان كنزار قباني وخليل الحاوي وعبد الوهاب البياتي، وكان المبدع أزراج عمر ممن يقتفون هذا الأثر رفقة الشاعر جوادي، فيقول الأول:

لصوتي سياج
متى يركض النهرُ فيه
ويجرفُ روثَ البِغَال
بقايا قُمامَة
ذبابا يطِن على غائِط
باسم ثورتنا الزاحِفَة

وكلمات "الروث البغال القمامة الذباب والغائط" لا تحتاج لتأمل كبير لتكشف عن حجم لدمار الذي لحق باللغة في بعض الأشعار التي استسلمت للتيار الواقعي، فسفحت ألياف اللغة، وتجافت عن الذوق الشعري.

وفي المقابل سلك جزء ضئيل من الشعر الجزائري المعاصر مسلكا ينضح بالغرابة والغور في نهاية السبعينيات حيث راح تيار الغموض يعظم أمره، ولغة الحداثة الموجزة الملغزة تفرض منطقها اللامنطقي، فالشاعر أضحى معنيا بنحت لغة

[33] جاء ذلك في ديوان عبد العالي رزاقي: الحب في درجة الصفر، وديوان جوادي بعنوان: يوميات متسكع محظوظ

[34] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، ص: 391

جديدة وتجريب أسلوب مغاير مناور، وقد قر في أذهان الشعراء أن الشعر لم يعد تبليغا لفكرة فقط بل ممارسة للغة في حالة تأمل وإشراق، فعدم العناية بالتوصيل والتواصل كغاية مثلى خفف من غلواء الوضوح والمعاني المفضوحة، ولغم النصوص بالغرابة.

وقد أضحى النقاد المغاربة والجزائريون يرفضون الكتابة المتكئة على الأصولية الأسلوبية، أي كتابة الذاكرة أو الأسلوب الموروث التي تعتصر الذاكرة لتستوحي الدوال النحوية والصرفية، فقد قرن بعضهم الكتابة بفعل التدمير، تدمير القديم الأصولي الذي استحال إلى متعال وسيد، واستحالت الكتابة في نظرهم إلى حرث عميق غايته "قلب المداليل والدلائل."[35]

فالنص في عرف المبدع والناقد استحال مجالا إشاريا، ولعبة أسلوبية لا يتركب فيها النص إلا من أدلة فقط، بل يلح الناقد تنظيرا والمبدع ممارسة على فسخ العلائق الوهمية بين الأشياء والأسماء، ما يعني الرفع من قيمة الشكل، وجعل الدلالة منفتحة بدل أن تكون منغلقة مع افتضاض واختراق السائد والمألوف والمغلق والمعتاد. فالنظرة إلى النص الشعري خاصة غدت متلبسة أيضا بفهم جديد للبلاغة، إنها صناعة قوامها تغيير الأدلة عن مواقعها داخل الأنساق اللغوية، وتفجير مدلولاتها المنسية أو المكبوتة بعيدا عن الصدفة، مع إهمال متعمد للمفهوم القديم للبلاغة القائم على اجترار قيم الذوق والجمال القائمة على الوضوح.

وأضحت طلائع الكتابة الجزائرية مع نهاية السبعينيات، وبداية الثمانينات تزداد رمزا وغموضا، وابتعادا عن الايحاء الفني المقبول لتحل محلها تعابير مبهمة فيها جهد الرصف، وليس فيها جهد التنسيق، تقول ما لا يفهم، ويعزى هذا الغموض الذي تدرجت فيه القصيدة الجزائرية عموما إلى تحطم النموذج الثوري العربي بعد عام 1967، "وهو المؤشر التاريخي الأكثر دلالة على نهاية حقبة من الوضوح، وبداية مرحلة تمتد من بداية السبعينيات إلى اليوم مليئة بالهزائم والاحباطات والآلام والأحزان، فبدأت رحلة الشعر العربي نحو الباطن، لينعكف على الذات الرمادية مجترا

[35] ينظر: محمد بنيس: حداثة السؤال، ص:45.

جروحها أو ذاهلا عما حوله في تعويض ميتافزيقي وصوفي أو غارقا في موقف الرفض والتجاوز".[36]

يقول عثمان لوصيف[37]:

من شِفَاهي تَنزلِق الكَلمَات
سَمكًا أخْضر
ذَهبيَ الزَعانِفِ والرَغبَات
شَاعرٌ ....شَفتي زَهرة
ويَدايَ لُغَات
تَشكُو الأرضُ حِينَ أُغَنِي
وتَرقُصُ أشْجَارهَا العَاشِقات
والفَراشَاتُ تُرفرفُ فَوق رُموشي
وتَستيقِظ النَجمات

فالكلمات المتدفقة من فم الشاعر استحالت إلى سمك أخضر، والشفة إلى زهرة، واليد إلى لغة، وما هذه الفراشات المرفرفة فوق رمش الشاعر، وأي نجمات قد استيقظت، إنه الشاعر الحالم المهووس بالكلمات إلى حد الضياع والشبق.

ولعل الانزياح هو المسئول عن الغموض في الشعر الحديث، لأنه ينجرف بالمفردات عن دلالاتها التواضعية إلى دلالة أخرى، وهو انجراف يأتي بأساليب متعددة، وهي أساليب في غالبها غير مباشرة، تستعين بطرائق لغوية عدة، مثل الإيحاء، التشبيه، الاستعارة، التخييل38؛ وقد أولع الشعراء الجزائريون منذ حقبة السبعينيات بنحت الصور عن طريق اسقاط الموازاة بين المشبه والمشبه به،

---

[36] ابراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008، ص: 122

[37] عثمان لوصيف شاعر جزائري من مواليد 1951 بطولقة ولاية بسكرة تخرج من باتنة عام 1984 بمعهد اللغة حصل على الجائزة الوطنية في الشعر سنة 1990 ، من دواوينه الكتابة بالنار 1982 ،شبق الياسمين 1986، أعراس الملح 1988 ، ديوان نوس وهديل

[38] عبد العليم محمد اسماعيل علي: ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 150.

والمستعار و المستعار له، ما يحرر النص من أحادية الدلالة، ويعبر بالقارئ إلى عالم رجراج يتوه فيه قارئ لا يملك قدرة على التأويل.

لكن الحرص على استجلاء تراكيب غامضة لا يجمعها الفن والحتمية الجمالية ولا الأصول المنطقية الوظيفية يخل بالشعر واللغة على حد سواء، فيستغلق الفهم في بعض القصائد، ليس بسبب ضحالة ثقافة القارئ بل للإبهام الذي تورط فيه الشاعر، فخنق الدلالة بين الكلمات، وجرّد الألفاظ من معانيها ، وهذا جرم كبير وقع فيه المهوسون بالغرابة، فأرادوا أن يكتبوا لغير عصرهم، فما كتبوا لأي عصر.

ولعل هذا من أعراض نظرية النخبة التي روج لها الشاعر أدونيس وأضرابه في الشعر العربي، ولقيت الدعوى صداها جزائريا عند طائفة الشباب المولع بالجديد المعجب بشعر المشارقة، فقد كان أدونيس ينتصر لفكرة اشتراط الثقافة العميقة الموسعة لكل من الشاعر والناقد، فكتابة الشعر وقراءته حسبه تستلزمان معرفة وخبرة ومراسا، ولا تكفي البداهة والارتجال، ومجرد المعرفة اللغوية، وهذا ما أدى إلى القول: إن الشعر ليس للجميع، وإنما هو مقصور على فئة خاصة، فللشعر أهله، ومن الصعب أن يفهمه غير أهله.[39]

وهو لا يكتفي بهذا الطرح، بل تفضي به قراءات نقدية في نصوص الجرجاني والرماني إلى تفضيل الغموض على الوضوح، واتخاذه خميرة للشعر، وسمادا للجودة والتميز، فقد نشئت حسبه نظرية جمالية جديدة نسخت الوضوح الشفوي الجاهلي كمعيار للجمال والتأثير، حتى صار الوضوح نقيضا للشعرية كما يراها الجرجاني، فالجمالية تكمن بالأحرى في النص الغامض المتشابه، أي الذي يحتمل تأويلات مختلفة، ومعاني متعددة، النص الذي تذهب النفس فيه كل مذهب، كما يعبر الرماني.

و يعزى تسرب تيار الغموض إلى الشاعر أدونيس، فهو يأتي في طليعة الشعراء الحداثيين الذين حاولوا جهدهم تطعيم الشعر والنقد بالرؤى الفلسفية، فأوقعه في الغموض و الإبهام، وأحيانا في الخواء واللاجدوى، وسار في ركبه شعراء الحداثة

[39] أدونيس: الشعرية العربية، ص 60.

الجزائرية، ففي تجربة أدونيس الشعرية، "يتغلب العقل الفلسفي على الشعور الاجتماعي، ليجعل من الشعر مجالا معرفيا مكثفا، هذا الشعر الذي يقاس على شعر جيل كامل من الشعراء ليس غامضا بقدر ما هو فارغ بل هو غامض بسبب حضور الخواء في ألياف لغته"[40]؛ وهو خواء وجداني يدل على التخمة الثقافية وخطل نظرية النخبة التي تبناها بعض الشعراء في باب الحداثة إبان المنتصف الثاني للقرن العشرين أو بعد هزائم 1967.

وقد كان شعراء العمودي وقبلهم المحافظون يمتازون بالاهتمام باللغة، ويراعون قدرها الفني، أما أصحاب اللون الجديد فيهتمون أكثر بالصور الفنية وبالرمز لكنهم يتساهلون في اللغة أحيانا كثيرة[41]؛ فإذا كان هذا الشعر الغامض أو بعضه لا نفهمه ولا نتمكن من تأويله، فأي فضيلة تبقى له، وإي منحة فنية تجعلنا نستبقيه، وإن كنا في عصرنا الحالي لا نرهف لهذا الشعر سماعا، فكيف سيرهف له القادمون فهما، فللغموض مستويات فنية إن تجاوزها صار محض بهتان وافتراء، ومن الشعر الموشى بالغموض نص لعبد الله حمادي[42] تتراءى فيه ملامح الحداثة، أو "لا عقلانية العبارة" التي كان يراها الشاعر مكان التجديد والإبدال في القصيدة المعاصرة :

تُداهِم ذَاكِرتي حُقولٌ مُمتدةٌ من الفَراغ
يتَمطى الأُقحوانُ الملفُوفُ على عُنقِي
يُستعادُ إلى ذِهني بُكاءُ طِفلٍ على أرصفةِ الغُربة
يتَحجرُ نزيفُ الريحِ بالأضْلاع
يركبُ غَيظُ الوحدة جَواد الأسفَار
أموتُ وأبعثُ بقارعة الخارطةِ غريبَ الوجهِ والديَار

---

[40] ابراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ص: 157.

[41] ينظر: عبد الله الركيبي: الشعر...في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 168.

[42] عبد الله حمادي شاعر جزائري من مواليد 1947 بقسنطينة حاصل على الدكتوراه من جامعة مدريد من دواوينه الهجرة إلى مدن الجنوب 1981 ، تحزب العشق يا ليلى 1982 ، قصائد غجرية 1983 ، رباعيات آخر الليل 1991 ، البرزخ والسكين 2001.

قد نشعر بثقل الأسطر وطولها المخل، وبالسعي المحموم من قبل الشاعر إلى إقحام تعابير متباعدة في معانيها، نائية عن دلالتها الأصلية، فيتجلى الثقل والغلو في قوله (يتحجر نزيف الريح بالأضلاع) وفي قوله أيضا (يركب غيظ الوحدة جواد الأسفار)، لكنها مع ذلك تتركب تركيبا فنيا بديعا فيه ظلال وملامح شاعرية، والسبب قد يرجع إلى أن الشاعر حمادي بالأخص قد تجاوز قليلا المشرب المشرقي، "ووجد في المشرب الأوروبي أنموذجا مركزيا لانطلاق الحداثة الشعرية العربية."[43]

ومن هنا نلفي شعراء الجزائر المعاصرين على غرار شعراء الحداثة العرب قد فارقوا محطة الوضوح التي دافعت عنها البلاغة العربية عهدا طويلا، وأعلنوا وقوفهم مع القدماء القلائل الذين دافعوا عن غموض الشعر.

ومن هنا يتبين لنا أن الشعر الجزائري في السبعينيات قد سلك مسلكين في تشكليه اللغوي، شكلا تقليديا متعديا ينحو منحى الخطابية والتقريرية المباشرة، ومنحى لازما[44]؛ حديثا حين نكون بصدد رؤيا شعرية، لا تتقيد بالأطر الخارجية، بل تنحث أشكالا تجريبية مغايرة للمعروف، مسايرة للفن والذوق، موشاة بالترميز والايحاء.[45]

الخاتمة

من حسنات الحداثة على الشعر الجزائري المعاصر أنها انقذته من الخطابية والسطحية الموروثة عن العهد الإصلاحي النهضوي الذي سبق الثورة، فكان البديل في اللغة الانزياحية الرمزية المقنعة التي لم تكتف بتكثيف الدلالة بل صبغت النص بأبعاد انسانية عالمية.

---

[43] ينظر: يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي،ج2، دار توبقال للنشر ،ط1 المغرب،2006، ص: 83.

[44] يفضل الباحث وغليسي مصطلح اللغة المتعدية لوصف اللغة الواقعية المباشرة في الشعر، واللغة اللازمة لوصف لغة الانزياح والفن المكتفية بذاتها، وقد استوحى المصطلحين من الناقد المغربي محمد بنيس.

لم يفرق بعض الشعراء الجزائريين بين الغموض الفني والابهام الذي تستغلق عنده المعاني فلا ينفع معها تأويل ولا ترجيح، لذلك برحت نصوصهم منطق الوضوح والخطابية نفورا وتأففا لتسلك مجال بلاغة الغموض دون تعمق ولا فحولة.

أثبت ربط الشعر والابداع بالدعاوى الاجتماعية والسياسية في أي بيئة بطلان سعيه، فهو يلجم حرية الشاعر، ويجعله أداة طيعة رهن الأحداث، وأكبر دليل على ذلك الأشعار التي طبلت للاشتراكية.

إن توظيف العناصر الحداثية في بناء الشعر المعاصر من لغة وانزياح ورمز واقنعة وتناص منوط بمدى استيعاب الشاعر لأدواته الفنية، وليس مجرد تقليد لمشرق سابق أو غرب مهيمن.

دخل الشعر الجزائري موكب الحداثة الشعرية متأثرا برواد الشعر العربي الحر كصلاح عبد الصبور، عبد الوهاب البياتي ونزار قباني، وغيرهم فاستوحى من لغتهم، وأشكالهم التعبيرية والفنية، وحاول الشعراء جهدهم اضفاء لمسات محلية على كتاباتهم، وفي اختيار رموزهم، لكنهم على العموم كانوا أكثر تأثرا بالمدرسة أدونيس الانفصالية من مدرسة السياب التراثية، ولم يتسن لهم الإبحار بعيدا عن فلك المشارقة إلا في حقبة الثمانينيات والتسعينيات عندما سبر بعضهم الحداثة الغربية من مناهلها الأصلية.

الرُّؤى الجماليّة في أعاريب أعلام المفسّرين

Aesthetic visions in the expressions of the flags of the commentators

مُيسّر عُذيمان السّاري1*

1 كلّية الآداب ، وكلية التّربية ، الحسكة سوريا essari2022@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022/03/09 تاريخ القبول:2022/04/21 تاريخ النشر:2022/07/10

الملخص :

يرصد البحث جهود أعلام المفسّرين ذوي النزعة اللّغويّة، وهم يتلمسون مواطن الجمال في أعاريبهم، ويسلط الضوء على مقولاتهم التي جعلوها معايير تشي برؤًى جماليّة نابعة من طول معايشةٍ لكلام العرب بكلّفنونه.

وتعدَّدت أوجه التّحليل النّحويّ لهذا الكتاب المعجز حمّالِ الأوجه، وانعكس ذلك على المعنى غنًى وشمولًا ودقّةً. ففي كل وجه من وجوه التّحليل النّحويّ ظلٌّ جديد للمعنى، وكان الوجه الذي يحمل سِمةَ(الأجمل، والأفصح، والأعْرب، والأفخم، والأوقع، وما فيه تفخيم، والأقرب إلى سَنن العرب في كلامها) مقدَّمًا على غيره.

وكان للطّبري(ت 310هـ) والزمخشري(ت538هـ) وابن عطيَّة(ت 546هـ)والفخر الرَّازي(ت 606هـ) وأبي حيّان(ت 745هـ) الحضور الأميز في هذا البحث لما لهؤلاء الأعلام من أهمية في مضمار التّفسير ، ولأنهم يغطّون مساحة جغرافية واسعة في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد امتدت جهودهم فشملت عصور نضج علم التّفسير ذي الطابع اللغوي على مدار خمسة قرون هجرية، وكان لمصنفات معاني القرآن وكتب إعراب القرآن حضورٌ يستأنس به كلَّما دعت الحاجة.

الكلمات المفتاحيّة: التّحليل النّحويّ- الجماليّة- المفسِّرون. الروى، أعلام

---

*المرسل المؤلف

Summary

The research monitors the efforts of prominent interpreters with linguistic inclinations, as they perceive the beauty in their expressions, and sheds light on their statements, which they made standards that indicate aesthetic visions stemming from a long experience of Arab speech in all its arts.

There were many aspects of the grammatical analysis of this miraculous book, which had many aspects, and this was reflected in the richness, comprehensiveness and accuracy of the meaning. In each aspect of the grammatical analysis a new shade of meaning, and the face that bears the characteristic (the most beautiful, eloquent, the most Arab, the most luxurious, the most accurate, and what is grandiose, and the closest to the Sunnah of the Arabs in its speech) was given precedence over others.

Al-Tabari (d. 310 AH), Al-Zamakhshari (d. 538 AH), Ibn Attia (d. 546 AH), Al-Fakhr Al-Razi (d. 606 AH) and Abu Hayyan (d. 745 AH) had a distinguished presence in this research because of the importance of these flags in the field of interpretation, and because they cover a wide geographical area in the history of the state The Islamic studies, and their efforts extended to include the eras of the maturity of the science of interpretation of a linguistic nature over the course of five centuries of the Hijri.

Keywords*: grammatical analysis, aesthetics, commentators flags. visions*

مقدمة:

أدرك المفسّرون أنَّ القرآن جنس فريد في بابه، له خصوصيَّته في استعمال التّراكيب وبناء الجمل، فاكتسب بذلك طبيعته المعجزة، وأضاف إلى التّحليل النّحويّ إمكاناتٍ كبيرةً بالمفهوم الجمالي التّركيبي، واستحدث طرقًا فنيَّة للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات، وخَلَقَ دلالاتٍ متنوعةً تتوافق مع أهدافه وأغراضه، وهذا ما يؤكد أنّ تركيب الصيغ والعبارات شديد الالتحام بعملية الإبداع[1]، فراحوا بعد أن أشبعوه درسًا وتحليلًا وتأويلًا يتلمَّسون مواطن الجمال لإرضاء ما بداخلهم من نزوع نحو الجمال الذي تنشده النّفس البشرية في كلِّ شيء، وعدُّوا التّحليل النّحويّ الذي يظهر به جمال النّصّ القرآني مع الوفاء بأدقِّ المعاني في المرتبة الأوّلى في اختياراتهم وترجيحاتهم، لذا قدَّموا من الوجوه: الأفخمَ، والأجزل، والأملأَ بالحسن، والأسهل في محمل الآية، والأغرَب، والأفصح، والأجودَ، والأليقَ، والأرتب، والأعرق

فصاحة، وما فيه تناسق الضّمائر، وما فيه المحافظة على السَّبْك "تماسك النّصّ" مهتدين برؤاهم وأذواقهم دون الإشارة إلى المستند الذي حملهم على إطلاق هذا الحكم في بعض الأحيان.

وبالمقابل كانت رؤاهم الجماليَّة وأحاسيسهم المرهفة التي غذتها الدُّربة والمِران في تأمّل نصوص العرب عامَّة ونصوصِ القرآن خاصة تنفِّرهم من أي تحليل نحويّ يؤدِّي إلى إخراج التّركيب عن الفصاحة، وما يؤدي إلى تعقيدٍ في اللّفظ، وإلباسٍ في المعنى، وتنافرٍ في التّركيب، وتفكيك للنّظم وما فيه قَلَقٌ في التّركيب أو تكلف أو بعْدٌ عن إدراك الفصاحة، فرفضوا، أو ضعَّفوا ما يُخلُّ بجودة سبك النّصّ القرآني، ويبعده به عن منزلته السّامية فوق كلّ النّصوص.

نماذج من أعاريب أعلام المفسّرين

ذكرَ الطّبريّ في ثنايا تفسيره جملةً من الأحكام التي قُدِّم فيها الوجه النّحويّ أو القراءة القرآنية على غيرهما. وما يهمّنا ما ذكره في ميدان التّحليل النّحويّ، فقد ذكر وجهين من الإعراب لـ"مَنْ" في قوله تعالى: "قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ **مَنْ** تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" [الأنعام: 135] الأوّل: الرّفع على أنّها مبتدأ، والثاني: النّصب على أنَّها مفعول به للفعل تعلمون، وبيَّنَ أنّ الرّفع فيه أجودُ؛ لأنّ معناه: فسوف تعلمون أيُّنا له عاقبة الدار. وعليه فالابتداء في "من" أصحُّ، وأفصح من إعمال الفعل تعملون فيه[2].

وقد يورِد المفسّر غيرَ وجهٍ لمن سبقوه، فيختارُ منها الوجه الذي يبرز فيه جمالُ التّركيب. إليك مثلًا قولَه تعالى: "وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ **كَاظِمِينَ** مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ" [غافر: 18].نقل الطّبريّ في إعراب "كاظمين" عن الأخفش انتصابَه على الحال، والمعنى: إذ القلوب لدى الحناجر في هذه الحال[3]، ونقَلَ عن بعض نحويّي الكوفة أنّ "أل" نائبة عن ضمير الغائبين، والمعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم، ونقل عن الفرَّاء أن نصبه على الحال من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر، والمعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين، أو على أنّه حال من الهاء التي في قوله" وَأَنْذِرْهُمْ"، ومالَ إلى ما ذكره الفرَّاء، وعلَّل هذا الميل بأنّه أجود في العربية[4].

وربمّا اختار المفسّر الوجه الذي تستحسنه العرب في كلامها. قال قوله تعالى: "**بَـرَاءَةٌ** مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[التوبة:1]. مال الطّبريّ إلى ما تستحسنه العرب في كلامها، ورأى أنَّ "براءة" خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: هذه مثل قوله تعالى: "سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا"، [النور:1]، وبين أنّ هذا الرأي أعجب إليه من غيره؛ لأنَّ من شأن العرب أنْ يقدروا لكلِّ مُعايَن نكرةً كان أو معرفةً هذا وهذه، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسنَ: حسنٌ والله، والقبيحَ: قبيحٌ والله، يريدون: هذا حسنٌ والله، وهذا قبيحٌ والله، فلذلك اختار القول الأوّل(5).

ويتجلّى للمتعمّق في دراسة كشّاف الزّمخشريّ أنّ أسس التّربية الفنيّة التي تهدّى إليها الجرجانيّ قد أثمرت ثمرتها عند الزّمخشريّ. فهو منذ مطلع تفسيره ينبّه إليها، ويشير إليها ويجعلها عمدة تفسيره الذي يفسِّر(6)، وقد تسرَّبت بعض هذه الأسس إلى ميدان التّحليل النّحويّ لديه، ففي معنى الباء في البسملة ذكر وجهين: أحدهما: الاستعانة بمعنى أنّ المؤمن لمَّا اعتقد أنّ فعله لا يجيء معتدًّا به في الشّرع واقعًا على السّنة حتى يُصدَّر بذكر اسم الله تعالى جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكَتْبُ بالقلم، والثاني: المصاحبة بأن يتعلق بها تعلُّقَ الدّهن بالإنبات في قوله: "تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ" [المؤمنون: 20] على معنى: متبرّكًا باسم الله أقرأ، ومال إلى الوجه الثّاني؛ لأنّه أعْرَبُ وأحسنُ(7).

وقد يجد المفسّر في بعض تراكيب القرآن ذروة الإبداع، فيرى أنّ مجيء جمله متراصَّةً دون عاطف كان السّر في جمالها، لذلك يختار الوجه الذي يُظْهِر هذا التّشابك من حيث اللّفظ والمعنى. إليك مثلًا قوله تعالى: "ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ [البقرة:1،2].أورد الزّمخشريّ جملة من الأعاريب ورأى أنْ يضرب عنها صفحًا، وآثر التّوجيه الذي جاءت فيه كل جملة مستقلة بذاتها، وعلل ذلك بأنّ هذا الوجه أرسخُ عِرقًا في البلاغة، وفصّلها على النحو الآتي: "ألم" جملة برأسها ، و" ذلك الكتاب" جملة ثانية، و"لاَ رَيْبَ فِيهِ" ثالثة، و"هُدًى لّلْمُتَّقِينَ" رابعة، وقد أُصِيب بترتيبها مَفْصِل البلاغة، ومُوجِب حسن النّظم حيث جيء بها متناسقة متآخية آخذًا بعضها بعنُق بعض. وبيانُ ذلك: أنّه نبّه أوّلًا على أنّه الكلام المُتحدَّى به، ثم أشير إليه بأنّه الكتاب المنعوت بالكمال، فكان تقريرًا لجهة التحدي، ثم نفى عنه أنْ يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله؛ لأنّه لا كمالَ أَكْمَلَ ممَّا للحقّ، ولا نقْصَ أنقصَ ممَّا

للباطل، ثمّ أخبر عنه بأنّه هدى للمتقين، فقرّر بذلك كونه يقينًا لا شكّ حولَه، ولم تخلُ كل واحدة من الأربع بعد أنْ رُتِّبَتْ هذا التَّرتيب الأنيقِ، ونُظِمَتْ هذا النّظم السَّرِي من نكتة ذات جزالة. ففي الأوّلى الحذف والرّمز إلى الغرض بألْطف وجهٍ وأرْشقه، وفي الثّانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الرَّيْبِ على الظرف، وفي الرّابعة الحذف، ووضع المصدر الذي هو "هُدًى" موضع الوصف الذي هو "هادٍ" وإيراده منكّرًا [8].ظهر في هذا التّوجيه تضافر البلاغة والنّحو في إبراز القيم الجماليّة لهذا التّركيب، والمعاني السّامية التي أفرزها هذا التضافر.

وظهرت هذه الرّؤية الجماليّة أيضًا في تحليل الزّمخشريّ جُمَل آية الكرسي: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" [البقرة: 255]، فتساءل: كيف ترتّبت من غير حرف عطف؟ فأجاب بوحي من تذوّقه لهذا النّصّ الكريم: لو توسَّط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: بين العصا ولحائها. فالأوّلى "الله لا إله إلا هو الحيّ القيّوم" بيانٌ لقيامه بتدبير الخلق، وكونه مهيمنًا عليه غير ساهٍ عنه، والثّانية" له ما في السماوات والأرض" لكونه مالكًا لما يدبّره، والثالثة "من ذا الذي يشفع عنده" لكبرياء شأنه، والرّابعة "ولا يحيطون" لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشّفاعة، وغير المرتضى، والخامسة "وسِع كرسيّه" لسعة علمه وتعلّقه بالمعلومات كلّها، أو لجلاله وعظم قدره[9]. وكانت لأبي حيَّان في هذه الآية رؤيةٌ جماليّة عندما لحظ أنَّ الهاء في الفعل "يؤوده" تعود على الله تعالى، لتكون الضّمائر متناسبة لواحد، ولا تختلف، وضعّف عودتها على الكرسيّ لبعد نسبة الحفظ إلى الكرسيّ[10].

وقد يراعي المفسّر أهمية التّناسق بين الجمل المكونة لتركيب النّصّ، فتقوده هذه الرؤية، فيختار الوجه الذي يؤدّي هذا الغرض. ففي قوله تعالى: "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[فصلت: 3] أجاز الزّمخشريّ أن يُعرَب" قُرْآنًا عَرَبِيًّا" اسمًا منصوبًا على الاختصاص أو المدح، أي: أريد بهذا الكتاب المفصَّل قرآنًا من صفته كذا وكذا، وقيل: هو نصب على الحال، أي: فُصِّلت آياته في حال كونه قرآنًا عربيًّا لقوم عربٍ يعلمون ما نزّل عليهم من الآيات المفصَّلة المُبِينةِ بلسانهم العربي

المبين، لا يلتبس عليهم شيء منه، ورأى أنَّ الأجود تعليق الجارّ والمجرور"لقوم" بمحذوف صفة مثلَ ما قبله وما بعده، لئلا يفرّق بين الصّلات والصّفات،[11] وبذلك يفتقدَ النّصّ التّناسق الذي يكمن جماله فيه.

وقد يميل المفسّر إلى الوجه النّحويّ القائم على تقدير بعض المحذوفات لِما في ذلك من التعبير عن المطلوب بأقلّ الألفاظ مع المحافظة على جمال النّصّ ورشاقته. ففي قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ" [البقرة: 17] أجاز الزّمخشريّ في جواب "لمّا" وجهين: أحدهما "ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ"، والثاني: أنّه محذوف كما حُذف في قوله: "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ"[يوسف: 15]. وإنَّما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدالّ عليه، وكان الحذْفُ أَوْلى من الإثبات لما فيه من الوَجازة مع الإعْراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقِد بما هو أبلغ من اللّفظ في أداء المعنى. كأنه قيل: فلمَّا أضاءت ما حوله خمدت، فبقوا خابطين في ظلام متحيّرين متحسّرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار[12].

أمّا أبو حيّان فقد اختار الوجه الأوّل مبيّنًا أنَّ الذي ذكره الزّمخشريّ في الوجه الثاني خطابةٌ لا طائل تحتها؛ لأنّه يمكن له ذلك لو لم يكن يلي قولَه:" فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ" قولُه: "ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ"، وبيّن أنّ هذه عادته في غير ما كلامٍ في معظم تفسيره، ولا ينبغي أنْ يفسر كلام الله بغير ما يحتمله، ولا أنْ يُزاد فيه، بل يكون الشّرح طبق المشروح من غير زيادة عليه ولا نقص منه[13]. ويبدو أنَّ التّحليل النّحويّ الذي ذهب إليه الزّمخشريّ أفرز معنى أبلغَ في تصوير حالة الحيرة التي خيَّمت على موقدي النَّار بعد انطفائها.

وممّا يُراعى جماليًّا في التّحليل النّحويّ لدى المفسّرين مفهوم التّناسق بين العناصر اللّفظية المُكوّنة للنص[14]. قال تعالى:" إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي" [طه: 38، 39]. حرص الزّمخشريّ على تناسق الضّمائر إذ رأى أنّ الضّمائر كلّها راجعة إلى موسى عليه السلام. وأمّا رجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التّابوت فرأى فيه هُجْنةً. فالمقذوف والملقى هو موسى في جوف

التّابوت كما رأى أنّ تشتيت الضّمائر يؤدى إلى تنافر النّظم الذي هو أمّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التّحدي، ومراعاته أهمّ ما يجب على المفسّر[15].

ومن الرؤى الجماليّة الثاقبة للمفسِّر حِرْصُه على التناسب بين ضمائر الآية المفضي إلى تناسق أجزائه من البداية إلى النّهاية. ففي قوله تعالى:"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" [البقرة: 248]. انطلق أبو حيّان من هذه الرؤية ، فرأى أنَّ الأحسن أنْ تكون الإشارة بذلك إلى الإتيان لا إلى التّابوت ليناسب أوّل الآية آخرها؛ لأنَّ أولها "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ" والمعنى: لآيةٌ لكم على ملكه واختياره لكم، وقيل: علامة لكم على نصركم على عدوّكم[16].

ولمثل هذا التناسب بين أول الآية وآخرها اختار أبو حيّان قولَ الجمهور في عَوْد الضّمير على نبيّ الله عيسى ﷺ في "وما قتلوه يقينًا" في قوله تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" [النساء: 157]، فنَقَلَ عن ابن عبّاس والسُدِّي أنّ الضّمير عائد على الظّنّ، وعليه يكون المعنى: وما صحّ ظنّهم عندهم، وما تحققوه يقينًا، ولا قطعوا الظّنّ باليقين. ونَقَل عن الفرّاء[17] أنه عائد على العلم، أي: ما قتلوا العلم يقينًا، ورأى أنّ الضّمير يعود على عيسى ﷺلتكون الضّمائر كلُّها كشيء واحد فلا تختلف، والمعنى صحيح بليغ[18].

على أنّ الحرص على تناسق النّصّ القرآني قد يكون سببًا في رفض بعض أوجه التّحليل النّحويّ. ففي قوله تعالى:" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا" [الشمس: 7] رفض الزّمخشريّ أنْ تكون ما مصدرية؛ لأن ذلك يؤدي إلى فساد النّظم، ورأى أنّ الوجه أنْ تكون موصولة، وأنّها أوثرت على"من" لإرادة معنى الوصفيّة . كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها، ونفسٍ والحكيم الباهر الحكمة الذي سوَّاها. وفي كلامِهم: سبحانَ ما سخَّرَكُنَّ لنا[19].

وقد يستبعد المفسّر الإعراب الذي يؤدِّي إلى تفكيك النّظم الذي يقدح بجمال النّصّ المحلَّل، لذا رفض الزّمخشريّ أنْ يكون المصدر "صبغةَ الله" في قوله تعالى:

"**صِبْغَةَ** اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" [البقرة: 138] بدلًا من"ملَّة إبراهيم" قبله، أو منصوبًا على الإغراء بمعنى: عليكم صبغةَ الله لما فيه من فكّالنّظم وإخراج الكلام عن التئامه واتّساقه، ورأى أنّه مصدر مؤكّدٌ. ووافقه أبو حيّان منطلقًا من هذه الرؤية للحفاظ على تناسق الآية أيضًا، ولأنَّ الإغراء تُنافره آخر الآية "وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ" إلَّا إنْ قُدّر قولٌ محذوف، وهو إضمارٌ لا حاجةَ تدعو إليه، ولا دليل من الكلام عليه، والبدلُ بعيدٌ وقد طال [الفصل] بين المبدَل منه والبدل بجمل. ومثل ذلك لا يجوز، والأحسن أن يكون منتصبًا انتصاب المصدر المؤكِّد عن قوله: "قُولُوا آمَنَّا" [البقرة: 136][20].

وقد تجتمع جملة من المؤثرات المتجاذبة في الوجه النّحويّ، فيقدم المفسّر الوجه الذي يرى من خلاله مواطنَ جمال النّصّ، ويتّفق مع المعنى المراد. ففي قوله تعالى: "وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ" [الزخرف: 88] رفض الزّمخشريّ عطف "وقيله" على "علم الساعة" في قوله تعالى قبله: "وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[الزخرف: 85] على تقدير حذف مضاف، فيصبح المعنى: عنده علم السَّاعة وعلم قيله؛ لأنه ليس بقوي في المعنى مع وقوع بعض المحظورات كالفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا وتنافر النّظم، ورأى أنَّ الأقوى منه والأوجه أنْ يكون الجرّ والنّصّب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرّفع على قولهم: أيمنُ الله، وأمانةُ الله، ويمينُ الله، ولعمرُك، ويكون قوله:" إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ" جواب القسم. كأنه قيل: وأقسم بقِيْلِه يا رب، أو وقيله يا ربّ قسمي إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون[21]. ورأى أبو حيّان أنّ هذا التّوجيه مخالف لظاهر الكلام، إذ يُظْهِر أنَّ قوله: "يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ" مقُول للمصدر قيله ومن كلامه ﷺ: وإذا كان" إنَّ هؤلاءِ" جواب القسم كان من إخبار الله عنهم وكلامه[22].

وقد يرتكز المفسّر على مفهوم جماليٍّ مستمد من النّصّ ونظمه كالأوقع أو الأكثر وقْعًا[23]. خذ مثلًا قوله تعالى: "فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا"[مريم: 68]، أجاز الزّمخشريّ في الواو الداخلة على الشّياطين أنْ تكون عاطفة، وأن تكون للمعيَّة، ومال إلى الثّاني؛ لأنَّه أوْقَعُ. وعليه يكون المعنى: أنَّهم يُحْشَرون مع قرنائهم من الشّياطين الذين أغووهم، يُقْرَنُ كل كافر مع شيطان في سلسلة. ونقل الفخر الرّازي هذا الرأي، واستحسنه[24].

وخشية تنافر النّظم الذي يخلُّ بجمال النّصّ القرآني وبالمعنى لم يرَ الزّمخشريّ أنّ الجملة الشّرطيّة في قوله تعالى:" وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ"[الحجرات: 7] استئنافيّة، بل حاليّة من أحد الضّميرين في فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور. وكلاهما مذهب سديد، والمعنى: أنّ فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها، أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها، وهي أنّكم تحاولون منه أنْ يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعنّ لكم من رأي، واستصواب فعل المِطْواع لغيره التّابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته، ولو فعل ذلك لوقعتم في الهلاك. واستحسن الفخر الرّازي هذا الرّأي[25].

وقد يعمد المفسّر إلى ترك الوجه النّحويّ الذي يوحي به ظاهر النّصّ إلى وجه آخر يرى فيه جماله وقوّته. ففي قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" [الواقعة: 10] يوحي ظاهر الآية أنّ "السابقون" الثّانية توكيد لفظيّ للأولى، وهو رأي بعض المعربين والمفسّرين[26]، لكن الزّمخشريّ رفض هذا التّوجيه، ورأى أنّتركيب الآية كقول أبي النّجم:[من الرّجز]

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي لِلَّهِ دَرِّي مَا أَجَنَّ صَدْرِي![27]

كأنّه قال: وشعري ما انتهى إليك، وسمعتَ بفصاحته وبراعته، كما رفض أنْ يكون المقرّبون خبرًا وأن يوقف على"والسابقون"، ويُبتدأ: السابقون أولئك المقرّبون، ورأى أنّ الصّواب أنْ يوقف على الثّاني؛ لأنه تمام الجملة، وهو في مقابلة: ما أصحاب الميمنة، وما أصحاب المشأمة[28].

وقد يرى المفسّر أنّ اللجوء إلى تقدير المحذوف ضرورة حتميّة تبرز جمال النّصّ، ولاسيما إذا كانت في القرآن نماذج تركيبيّة تشير إلى تلك المحذوفات. ففي قوله تعالى:"وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ" [البقرة: 60] رأى الفخر الرازيّ أنّ الإعجاز كامن في تقدير محذوف أظهرته نصوص أخرى، ولو لم يُقَدّر كان ذلك طعنًا بنبي الله موسى عليه السلام، إذ لم يمتثل الأمرَ. وعليه فالفاء في قوله: فانفجرت متعلقة بمحذوف، أي: فضرب، فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت، وتساءل: هل يجوز أنْ يأمره الله تعالى بأنْ يضرب بعصاه الحجر، فينفجر من غير ضرب حتى يستغني عن تقدير

هذا المحذوف؟ وأجاب: لا يمتنع في القدرة أنْ يأمره الله تعالى بأن يضرب بعصاه الحجر، ومن قبل أنْ يضرب ينفجر على قدر الحاجة، لأنّ ذلك لو قيل: إنّه أبلغ في الإعجاز لكان أقرب، لكنّ الصّحيح أنّه ضرب فانفجرت، لأنه تعالى لو أمَر رسوله بشيء، ولم يفعله كان عاصيًا، ولأنه إذا انفجر من غير ضرب صار الأمر بالضّرب بالعصا عبثًا لا معنى له، ولأنّ المروي في الأخبار أنّ تقديره: فضرب، فانفجرت كما في قوله تعالى: "فانفلق" [الشعراء: 63] من أنّ المراد فضرب، فانفلق[29].

وقد يتلمَّس المفسّر مواطن الجمال في مجيء بعض حروف الجر بعد بعض الأفعال مع صلاحيّة غيرها في الموضع نفسه، أو في استعمال فعل أو مشتق في موضع ما. من هنا رأى الفخر الرازي أنّ الأبلغ استعمال الأداة "عن" بعد الفعل "يقبل" في قوله تعالى :"أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" [التوبة: 104]، ونقل في هذا وجهين: الأوّل: أنه لا فرق بين"عن عباده"، وبين "من عباده" إذ يقال: أخذت هذا منك، وأخذت هذا عنك، والثاني: أنَّ "عن" أبلغ؛ لأنه يُنبئ عن القبول مع تسهيل سبيله إلى التّوبة التي قُبِلَتْ، لكنه لم يُبين كيفية دلالة لفظة"عن" على هذا المعنى، والذي أقوله: إنّ كلمة "عن" وكلمة" من" متقاربتان، إلا أنَّ كلمة" عن" تفيد البعد، فإذا قيل: جلس فلان عن يمين الأمير، أفاد أنّه جلس في ذلك الجانب لكن مع ضَرْب من البعد فقوله: عن عباده يفيد أنّ التّائب يجب أن يعتقد في نفسه أنّه صار مُبْعَدًا عن قبول الله تعالى له بسبب ذلك الذّنب، ويحصل له انكسار العبد الذي طرده مولاه، وبُعْدُه عن حضرة نفسه، فلفظة "عن" كالتنبيه على أنّه لا بُدّ من حصول هذا المعنى للتّائب[30].

وقد يميل المفسّر إلى بعض الأوجه المتعددة، لأنّها أبلغ من غيرها في أداء المعنى المراد. من هنا رأى أبو حيّان أنَّ جملة "نحن له مسلمون" معطوفة على جملة مقول القول "نعبد" في قوله تعالى:" أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" [البقرة: 133]، لأنّه لمّا ذكر الجواب بالفعل "نعبد" الدالّ على أنَّ العبادة متجددة دائمًا ذَكَرَ هذه الجملة الاسمية المخبَر عن المبتدأ فيها باسم الفاعل الدالّ على الثبوت، لأنّ المنقادين لا ينفكون عنه دائمًا، وعنه تكون العبادة، فيكون قوله" وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" أحد جملتي الجواب. فأجابوه بشيئين: أحدهما: الذي

سأل عنه، والثّاني: مؤكد لِما أجابوا به، فيكون من باب الجواب المُربي على السّؤال، وأجاز بعضهم أنْ تكون الجملة حاليّة من الضّمير في نعبد، والأوّل أبلغ، ليكون أحدَ شقي الجواب[31].

ونظرًا لاختلاف الرؤى وتنوّع الأذواق بين النّاس فإن المفسّرين لا يتفقون في بعض الأحيان على قيمة بلاغيّة بعينها، إذ ينظر كل منهم إلى النّصّ من زاوية يرى جمال التّركيب من خلالها. إليك مثلًا قوله تعالى:" الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" [البقرة: 146] رأى الزّمخشريّ أنّ سبب الإضمار هو أنّ الكلام يدلّ عليه، ولا يلتبس على السامع، وأنّ مثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنّه لشهرته وكونه علمًا معلومٌ بغير إعلام[32]. ولم ير أبو حيّان ذلك، بل رآه من باب الالتفات ؛لأنّه تعالى قال:" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ"، ثم قال:" وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ" [البقرة: 145]، فهذه كلّها ضمائر خطاب لرسول الله ﷺ، ثم التفت عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة. وحكمة هذا الالتفات أنّه لمّا فرَغ من الإقبال عليه بالخطاب أقبل على النّاس فقال: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ"، واخترناهم لتحمل العلم والوحي يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآي السّابقة، وأمرناه، ونهيناه. لا يشكون في معرفته، ولا في صدق أخباره، بما كلفناه من التّكاليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة، لِما في كتابهم من ذكره ونعته، والنّصّ عليه يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل [33].

و انطلاقا من رؤى المفسّرين الجماليّة شاع بينهم مصطلحا الأجود والأحسن، فعدّوهما سببًا في ترجيح الوجه النّحويّ أحيانا، وقد نقل أبو حيّان أوجه إعراب"كيف" في قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" [آل عمران: 25] التي أعربها بعضهم منصوبةً على الحال، والتقدير: كيف يصنعون ؟ وقدرها الحوفي: كيف يكون حالهم؟ في موضع الحال إنْ أراد كان التّامة، وإنْ كانت النّاقصة كانت في موضع نصب على أنّها خبر كان، ورأى أنّ الأجود أنْ تكون في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف يدلّ عليه المعنى،

والتقدير: كيف حالهم ؟ وهذا الاستفهام لا يحتاج إلى جواب، وكذا أكثر استفهامات القرآن، لأنها من عالم الشّهادة، وإنمّا استفهامه تعالى تقْريع[34].

ومن ذلك ما أشار إليه أبو حيّان في تحليل قوله تعالى:" وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ"[آل عمران: 73]. ذكر الطّبريّ أن"اللام" في "لمن تبع دينكم" زائدة كاللام التي في قوله: "عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ" بمعنى: ردفكم [35]. ورأى أبو حيّان أنّ الأجود ألّا تكون: اللام زائدة، بل ضُمّن آمن معنى: أقرّ، واعترف، فعُدي باللّام. والمؤمَن به محذوف [36].

وممّا ورد كذلك تحليل قوله تعالى:" لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا" [النساء: 162]. رأى أبو حيّان أنّ الأجود إعراب"أولئك" مبتدأ خبره جملة "سنؤتيهم"، وأنَّ جعلها من باب الاشتغال ليس براجح، لأنّ "زيدٌ ضربته" أفصح، وأكثر من"زيدًا ضربته"، ولأن معمول ما بعد حرف الاستقبال مختَلَف في جواز تقديمه في نحو: سأضرب زيدًا، وإذا كان كذلك فلا يجوز الاشتغال. فالأجود الحمل على ما لا خلاف فيه[37].

وقد يذكر المفسّر أحيانًا السّبب الذي جعل التّحليل النّحويّ الذي مال إليه أجود. إليك مثلًا قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ" [المائدة: 4]. رأى أبو حيّان أنّ الأجود أن تكون"ما" شرطيّة لا موصوليّة والجواب: فكلوا؛ لأنه لا إضمار فيه [38].

ومنه أيضًا تحليل قوله تعالى:" وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى" [طه: 53] رأبو حيّان أنّ الأجود أن يكون "شَتَّى" صفة والموصوف "أزواجًا"، لأنّها المُحدَّث عنها، ونقل رأيَ الزّمخشريّ[39] الذي أجاز أنْ يكون صفة للنّبات، والنّبات مصدر سُمّيَ به النّابت، كما سُمّيَ بالنّبت، فاستوى فيه الواحد والجمع، يعني أنّها شَتَّى مختلفة النّفع والطّعم واللّون والرّائحة والشّكل. بعضها يصلح للنّاس وبعضها للبهائم [40].

وقد يردّ المفسّر بعض أوجه التّحليل النّحويّ التي قال بها مفسرون آخرون، ويبين سبب ردّها، ثم يختار توجيهًا يذهب إليه، لأنّه أجود دون أنْ يذكر السبب. قال

تعالى :"إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ" [الأنفال: 11]. نقل أبو حيّان آراء المفسّرين في إعراب الظرف"إذ"، فعن الزّمخشريّ[41] أنّه بدل ثانٍ من "إذ يعدكم" في قوله تعالى قبله: "وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [الأنفال: 7، 9] أو منصوب بالنّصر، أو بما في عند الله من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار: اذكر. أما كونه بدلًا ثانيًا من"إذ يعدكم" فقد وافقه عليه ابن عطيّة[42]؛لأنّ العامل في"إذ" هو العامل في قوله"وإذ يعدكم" بتقدير تكراره، لأنّ الاشتراك في العامل الأوّل نفسه لا يكون إلا بحرف عطف، وإنما القصد أنْ يعدّد نعمه على المؤمنين في يوم بدر، فقال: واذكروا إذ فعلنا بكم كذا. اذكروا إذ فعلنا كذا، وأمّا نصبه بالنّصر فضعيف؛ لأنه مصدر فيه" أل" وفي إعماله خلاف، وأنّه موصول، وقد فصل بينه وبين معموله بالخبر "من عند الله"، وذلك إعمال لا يجوز. لا يقال: ضرْب زيد شديد عمرًا، وأنّه يلزم من ذلك إعمال ما قبل إلا في ما بعدها من غير أن يكون ذلك المفعول مستثنى أو مستثنى منه أو صفة له و"إذ" ليس من هذه الثلاثة، وأمّا كونه منصوبًا بما في "عند الله" من معنى الفعل فيضعّفه المعنى، لأنه يصير استقرار النّصر مقيدًا بالظرف، والنّصر من عند الله مطلق في وقت غشْي النّعاسِ وغيره، وأمّا كونه منصوبًا بـ"ما جعله الله" فضعيف لطول الفصل، ولكونه معمول ما قبل "إلا" وليس أحد تلك الثلاثة، ونقل عن الطّبريّ[43]: أنّ العامل في "إذ" الفعل لتطمئن، ورأى أنّ الأجود من هذه الأقوال أن يكون بدلًا من إذ يعدكم[44].

وثمة مصطلح جماليّ آخر يعلّل به المفسّرون اختيارهم الوجه النّحويّ هو مصطلح الأحسن. قال تعالى: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" [الأنفال: 3]. اختار أبو حيّان أن يكون "الذين" صفة للذين قبله في قوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [الأنفال: 2] ورأى أنّه الأحسن. ومصدر حسنه أنّه أخبر عن المؤمنين

بثلاث: الصّفة القلبيّة والصّفة البدنيّة والصّفة الماليّة، وجمع أفعال القلوب؛ لأنها أشرف وجمع في أفعال الجوارح بين الصّلاة والصّدقة[45].

وفي قوله تعالى: "الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [التوبة: 79] رأى أبو حيّان أنّ الأحسن في الإعراب أن يكون "الذين يلمزون" مبتدأ، والجارّ والمجرور" في الصدقات" متعلقان بالفعل "يلمزون" والذين لا يجدون معطوف على المُطّوّعين. كأنه قيل: يلمزون الأغنياء وغيرهم. و"فيسخرون" معطوف على" يلمزون"، وسخر الله منهم وما بعده خبر عن الذين يلمزون. وذكر أبو البقاء[46] أن قوله:"والذين لا يجدون"، معطوف على الذين يلمزون، وهذا غير ممكن، لأن المعطوف على المبتدأ مشارك له في الخبر، ولا يمكن مشاركة الذين لا يجدون إلا جهدهم مع الذين يلمزون إلا إنْ كانوا مثلهم منافقين [47].

ورأى المفسّرون أنّ الوجه النّحويّ المتكلَّف يحطّ من جمال النّصّ القرآني، لذا قابلوه بالرفض والاستهجان. ففي قوله تعالى: "الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ" [الأعراف: 92] أعرب أبو حيّان الذين مبتدأ خبره جملة "كأن لم يغنوا فيها"، ونقل عن الزّمخشريّ[48]: أنّ في هذا الابتداء معنى الاختصاص. كأنه قيل: الذين كذبوا شعيبًا المخصوصون بأن أهلكوا، واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم ؛ لأنّ الذين اتبعوا شعيبًا قد أنجاهم الله تعالى، وقد جوّز أبو البقاء [49] أنْ يكون الخبر" الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين"، وجملة" كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا "حال من الضّمير في"كذبوا"، كمَا أجاز أنْ يكون "الذين كذبوا"صفة لقول الذين كفروا من قومه أو بدلًا منه، وعلى هذين الوجهين يكون " كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا" حالًا، وردّ هذه الأوجه، لأنّها متكلفة، ورأى أنّها جمل مستقلة لا تعلّق بما قبلها من جهة الإعراب، وأنّ ما رآه أقوى وأجزل[50].

وقد يكون البعد عن التّكلف سببًا يراه المفسّر من أسباب قبول الوجه النّحويّ. إليك مثلًا قوله تعالى: "قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ"[يوسف: 75]. فضّل أبو حيّانأحد توجيهات الزّمخشريّ[51]في إعراب الآية السابقة بداعي بعدها عن التكلف، ورفض بقية التّوجيهات منه ومن غيره من المفسّرين، فرفض توجيه ابن عطية [52]: أن يكون" جزاؤه" مبتدأ، و"من" شرطية أو موصولة مبتدأ ثان، فهو جزاؤه

جواب الشرط، أو خبر ما الموصولة، والجملة من قوله:" من وجد" إلى آخره خبر المبتدأ الأوّل، والضّمير في قالوا: جزاؤه للسارق، لخلو الجملة الواقعة خبر "جزاؤه" من رابط، ورفض توجيه الزّمخشريّ المؤدي إلى أنّ المعنى قالوا: جزاء سرقته، ويكون "جزاؤه" مبتدأ خبره المجموع الشرطي على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو. فموضع الجزاء موضع هو، لأنّ وضع الظاهر موضع المضمر للربط إنما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل، وغير فصيح فيما سوى ذلك، كما رفض أن يكون "جزاؤه" خبر مبتدأ محذوف، أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه، لأنّه متكلف، إذ تصير الجملة من قوله: المسؤول عنه جزاؤه، على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة، إذ قد علم من قوله: "فما جزاؤه" أنّ الشيء المسؤول عنه جزاء سرقته، فأي فائدة في نطقهم بذلك ؟ وفضّل أن يكون جزاؤه مبتدأ، أي: جزاء سرقة الصاع، والخبر "من وجد في رحله"، أي: أخذ من وجد في رحله، ويكون قولهم: فهو جزاؤه تقرير لحكم، أي: فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير، ورأى أنّ هذا الوجه هو أحسن الوجوه، وأبعدها عن التكلّف[53].

ومن ذلك ما ورد في تحليل قوله تعالى:" تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى"[طه: 4]. لم يرتضِ أبو حيّان ما رآه الزّمخشريّ في سبب نصب " تَنْزِيلًا" الذي انتصب على أنّه مصدر لفعل محذوف، أي: نُزِّل تنزيلًا على رأي أبي حيان، على حين رأى الزّمخشريّ[54] انتصابه من عدة وجوه: أن يكون بدلًا من "تذكرة" إذا جعل حالًا، لا إذا كان مفعولًا له، لأنّ الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بـ"نزل" مضمرًا، وأن ينصب بـ"أنزلنا"، لأنّ معنى ما أنزلنا إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، وأنْ ينصب على المدح والاختصاص، وأنْ ينصب بـ"يخشى" مفعولًا به، أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله، ورأى أن هذه الوجوه يجمعها التكلف. أمّا الأوّل ففيه جعل"تَذْكِرَةً" و" تَنْزِيلًا" حالين وهما مصدران، وجعل المصدر حالًا لا ينقاس، وأمّا قوله: لأنّ معنى ما أنزلناه إلاّ تذكرة أنزلناه تذكرة فليس كذلك، لأنّ معنى الحصر يفوت في قوله أنزلناه تذكرة، وأما نصبه على المدح فبعيد، وأما نصبه بـ"من يخشى" ففي غاية البعد، لأنّ "يخشى" رأس آية وفاصل فلا يناسب أنْ يكون تنزيل مفعولًا بـ"يخشى" [55].

ولعلّ ممّا يندرج تحت رؤاهم الجماليّة ميلهم إلى الوجه الأسهل في محمل الآية. ففي قوله تعالى :"وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ" [الأعراف: 11] رأى أبو حيّان أنّ الخطاب عامّ لجميع بني آدم، وعليه تكون "ثم "الأوّلى بمعنى الواو عاطفة لمطلق الجمع، ويكون الترتيب بين الخلق والتّصوير، أو تكون "ثم" في" ثُمَّ قُلْنَا" للترتيب في الإخبار لا في الزمان، وهذا أسهل محملٍ في الآية [56].

وربما فُضِّل الوجه النّحويّ على غيره، لأنّه أعرق في الفصاحة، أو أعرب وأفصح، أو لأنّه موافق للتّركيب الفصيح. قال تعالى:"وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" [الأنفال: 40].رأى أبو حيّان أن الأعرق في الفصاحة أن يكون"مولاكم" خبر أنّ، وأجاز أن يكون عطف بيان، والجملة بعده خبر أنّ، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: الله، أو هو، والمعنى: فثقوا بموالاته ونصرته[57].

ومنه ما جاء في تحليل قوله تعالى:"وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ"[آل عمران: 187]. مال أبو حيّان إلى إعراب الواو الداخلة على الفعل"لا تكتمونه" عاطفة لكون هذا الوجه أعْرب وأفصح، ونفى أنْ تكون حالية، لأنّ ذلك يحتاج إلى إضمار مبتدأ قبل لا، حتى تكون الجملة اسمية في موضع الحال، إذ المضارع المنفي بلا لا تدخل عليه واو الحال[58].

وحرص المفسّر على موافقة الوجه النّحويّ التّركيب الفصيح، فكان ذلك عاملًا مساعدًا في قبول الوجه النّحويّ أو رفضه. قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ" [الأنعام: 73]. مال أبو حيّان إلى ما رآه الزّمخشريّ في إعراب "يَوْم" لموافقته التّركيب الفصيح، وهو أن "قوله" مبتدأ والحق صفة له و"يوم يقول" خبر المبتدأ، فيتعلق بمستقركما تقول يوم الجمعة القتال، ورفض أوجه التّحليل النّحويّ التي ينبو عنها التّركيب، كأن يكون معمولًا لمفعول فعل محذوف تقديره: واذكر الإعادة يوم يقول: كن، أي: يوم يقول للأجساد كوني مُعادة، ويتمّ الكلام عند قوله: كن، ثم أخبر بأنّه يكون قوله: الحق الذي كان في الدنيا إخبارًا بالإعادة فيكون قوله فاعلًا بـ"فيكون"، أو يتم الكلام عند قوله: كن فيكون، ويكون" قوله الحق" مبتدأ وخبرًا. وقول الزّجاج: يوم يقول معطوف على الضّمير من قوله: واتقوه، أي : واتقوا عقابه والشدائد ويوم يقول كن فيكون، فيكون

انتصابه على أنه مفعول به لا ظرف، وقيل: يَوْمَ معطوف على السّماوات والأرض والعامل فيه خلق، أو: اذكر، أو معطوفًا على قوله بالحق إذ هو في موضع نصب، ويكون يقول بمعنى الماضي. كأنه قال: وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم قال: لها كن، ويتم الكلام عند قوله فيكون، ويكون "قوله الحق" مبتدأ وخبرًا، أو يتم عند "كُن"، ويبتدئ: فيكون قوله الحق، أي: يظهر ما يظهر وفاعل يكون قوله، والحقّ صفة ويَكُون تامة [59].

وحرصًا على بقاء الوجه النّحويّ في دائرة الفصاحة والبعد عن التّكلف رفض أبو حيّان إعراب الزّمخشريّ"فسقًا" في قوله تعالى:"قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ"[الأنعام: 145] الذي أجاز أن يكون مفعولًا لأجله والعامل فيه "أهلّ"، أي: أهلّ لغير الله به فسقًا، فرأى أنّه إعراب متكلّف جدًا، وتركيبٌ على هذا الإعراب خارج عن الفصاحة، ورأى أنّه معطوف على المنصوب قبله. سمّى ما أهلّ لغير الله به فسقًا لتوغله في باب الفسق[60].

وقد يعمد المفسّر إلى المفاضلة بين أوجه التّحليل النّحويّ، فيختار الوجه الأرفع. قال تعالى:" لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" [التوبة: 128]. اختار أبو حيّان أنّ تكون "ما" مصدرية والمصدر المؤول فاعل بعزيز، أي: يعز عليه مشقتكم، وأجاز أن يكون المصدر المؤول مبتدأ مؤخرًا، وعزيز خبرًا مقدمًا، أي: عنتكم عزيز عليه، و فضّل الأوّل لأنّه أعْرب، وضعّف ما أجازه الحوفي أن يكون "عزيز" مبتدأ، وما عنتم الخبر، وأن تكون ما موصوليّة، وأن تكون مصدريّة؛ لأنّه إعراب دون الإعرابين السّابقين[61].

وربما اختار المفسّر الوجه النّحويّ الأبلغ من جهة المعنى، وفضّله على سائر الوجوه. قال تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ" [هود: 100]. قدّم أبو حيّان رأي أبي البقاء على رأي الزّمخشريّ في إعراب جملة "منها قائم". رأى الزّمخشريّ أنّها استئنافية لا محل لها من الإعراب [62]. ورأى أبو البقاء [63]: أنها في محل نصب حال من الهاء في الفعل "نقصّه"، وفضّل أبو حيّان الحال؛ لأنّه أبلغ في التّخويف وضرْب المثل للحاضرين، أي: نقصّ عليك بعض أنباء القرى، وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله بها [64].

وقد يرفض المفسّر الوجه النّحويّ الذي يُضيّق دائرة المعنى. إليك مثلًا قوله تعالى:" فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [يوسف: 64]. لم يرتضِ أبو حيّان ما رآه الزّمخشريّ في إعراب "حافظًا" حالًا [65]، ورأى أنه ليس بجيد، لأن فيه تقييد "خير" بهذه الحال، ورأى أنّه منصوب على التمييز [66].

كما كان الالتفات سببًا في تفضيل أبي حيّان عود الضّمير في"نلعنهم" في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ" [النساء: 47] الذي يمكن أن يعود على الوجوه إن أريد به الوجهاء، أو على أصحاب الوجوه، ويصبح المعنى: من قبل أن نطمس وجوه قوم، أو على الذين أوتوا الكتاب على طريق الالتفات، وهذا الوجه أحسن. ومُحسِّن هذا الالتفات هو أنّه تعالى لمّا ناداهم كان ذلك تشريفًا لهم، وهزّ السماع ما يلقيه إليهم، ثم ألقى إليهم الأمر بالإيمان بما نزل، ثم ذكر أنّ الذي نزل هو مصدق لما معهم من كتاب، فكان ذلك أدعى إلى الإيمان، ثم ذكر هذا الوعيد البالغ فحذف المضاف إليه من قوله: من قبل أن نطمس وجوهًا، والمعنى: وجوهكم، ثمّ عطف عليه قوله: أو نلعنهم، فأتى بضمير الغيبة، لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللعنة ليس لهم ليبقى التأنيس والهم والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السّامع، ويروع القلب، ويصير أدعى إلى عدم القبول، وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة [67].

الخاتمة:

في الأمثلة السابقة برز التعانق بين علمي النحو والبلاغة، فظهرت مواطن جمال التّركيب الذي عليه النّصّ القرآني، فأفرز ذلك اختيار المفسّر الوجهَ النّحويّ الذي يحافظ على رونق التّركيب وجماله، ويسهم في إقبال المتلقي عليه، وقد بدت رهافة حسّ أعلام المفسّرين ورؤاهم الثّاقبة من خلال حرصهم على تلمّس الجمال في تركيب النّصّ. ولعلّ هذا هو جوهر الدراسات النّصّيّة المعاصرة.

كما اتضح بشكل جلي أنّ طبيعة النّفس البشرية لا تستطيع الوقوف على الحياد ولاسيما في القضايا المتعلقة بالرؤى الجماليّة، وهو حال أعلام المفسّرين الذين حاولوا جاهدين توجيه المعاني السّامية الوجهة التي يعتقدونها أجمل من غيرها ليقنعوا المتلقي أنّهم على الحقّ، وأنّ من سواهم على الباطل، وقد تجلّى ذلك واضحًا إبّان

عملهم التّحليلي من خلال توجيه معاني المفردات وأوجه الإعراب الوجهة التي تخدمهم. كلّ ذلك في صنيع المفسّرين من ذوي النزعة اللّغويّة فتراهم يقدمون الوجه النّحويّ الذي تتبدى لهم فيه جماليّات التّركيب"الأجمل" على اختلاف تسمياته على ما عداه، ويَنفرون، ويُنفِرون من الوجه القبيح الذي يحط من منزلة التّركيب، ويبعد عن المعاني الجليلة التي نزل بها القرآن الكريم.

الهوامش والإحالات:

---

[1] - ينظر: عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط (1) 1994م، 47، 48.

2- ينظر:الطبري ، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط (1) 1420هـ 2000م، 12: 130.

[3] - ينظر: الأخفش، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(1)، 14411هـ 1990م، 2: 500.

[4] - ينظر:جامع البيان، 21، 368، و: الفرّاء , يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار وأحمد نجاتي، عالم الكتب، ط (3)، بيروت 1403هـ، 1983م 3: 6.

[5] - ينظر: جامع البيان، 14: 93.

[6] - ينظر: الجويني، مصطفى الصاوي: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف بمصر، ط (2)، 1968م، 216.

[7] - ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1)، 1417هـ 1997م ، 1: 47، 48.

[8] - ينظر: الكشاف،1: 78.

[9] - ينظر: الكشاف، 1: 328.

[10] - ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط (2) 2007م، 1428هـ.، 2: 291،290.

[11] - ينظر: الكشاف، 4: 189.

[12] - ينظر: الكشاف، 1: 110.

[13] - ينظر: البحر المحيط، 1: 213.

[14] - ينظر: الجاسم، محمود حسن: تأويل النص القرآني وقضايا النحو، دار الفكر، دمشق، سورية، ط (1)، 1431هـ، 2010، 171.

[15] – ينظر: الكشاف، 3: 64.

[16] – ينظر: البحر المحيط، 2: 272.

[17] – ينظر: معاني القرآن (للفراء)، 1: 294.

[18] – ينظر: البحر المحيط،3: 406، 407.

[19] – ينظر: الكشاف، 4: 762.

[20] – ينظر: البحر المحيط، 1: 584.

[21] – ينظر: الكشاف، 4: 270.

[22] – ينظر: البحر المحيط، 8: 30.

[23] – ينظر: تأويل النص القرآني وقضايا النحو، 170.

[24] – ينظر: الكشاف، 3: 34، و: مفاتيح الغيب، 21: 557.

[25] – ينظر: الكشاف،4: 363، و: مفاتيح الغيب، 28: 101.

[26] – ينظر تفصيل ذلك في التبيان في إعراب القرآن، 2: 436، والبحر المحيط، 8: 204.

[27]– التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ: شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، (د ت) ، 1: 77.

[28] – ينظر: الكشاف، 4: 457.

[29] – ينظر:مفاتيح الغيب، 3: 529.

[30] – ينظر: الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (3) 1420 هـ ، 16: 140.

[31] – ينظر: البحر المحيط، 1: 574.

[32] – ينظر: الكشاف، 1: 230.

[33] – ينظر: البحر المحيط، 1: 608، 609.

[34] – ينظر: البحر المحيط، 2: 435.

[35] – ينظر: جامع البيان، 6: 511.

[36] – ينظر: البحر المحيط، 2: 518.

[37] – ينظر: البحر المحيط، 3: 412، 413.

[38] – ينظر: البحر المحيط، 3: 445.

[39] – ينظر: الكشاف، 3: 70.

[40] – ينظر: البحر المحيط، 6: 234.

[41] – ينظر: الكشاف، 2: 192.

[42] – ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 1422هـ، 2001م،2: 579.

[43] – ينظر: جامع البيان، 13:419.

[44] – ينظر: البحر المحيط، 4: 461.

[45] – ينظر: البحر المحيط، 4: 455.

[46] – ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 1: 484.

[47] – ينظر: البحر المحيط، 5: 76، 77.

[48] – ينظر: الكشاف، 2: 124.

[49] – ينظر: العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدا لله بن الحسين:التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(1)1418هـ 1997م.، 1: 434.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الأخفش، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(1)، 14411هـ 1990م.
3. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ: شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، (د ت) .
4. الجاسم، محمود حسن: تأويل النص القرآني وقضايا النحو، دار الفكر، دمشق، سورية، ط (1)، 1431هـ.
5. الجويني، مصطفى الصاوي: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف بمصر، ط (2)، 1968م.
6. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (2) 2007م، 1428هـ.
7. الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط (3) 1420 هـ .
8. الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1)، 1417هـ 1997م .
9. الطبري ، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط (1) 1420هـ 2000م.
10. عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط (1) 1994م.
11. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1)، 1422هـ، 2001م.
12. العكبري، أبو البقاء محب الدين عبدا لله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط(1)1418هـ 1997م.
13. الفرَّاء , يحيى بن زياد: معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار وأحمد نجاتي، عالم الكتب، ط (3)، بيروت 1403هـ.

مجلة الآداب واللغات

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج - الجزائر

Journal of Literature and Languages

Bi-annual international peer-reviewed journal
It is concerned with literary and linguistic research and studies
Issued by the College of Letters and Languages
University of Mohamed El Bashir Brahimi
- Bordj Bou Arreridj - Algeria

Volume (08), Issue (02) –Juin/Juillet 2022

ISSN: 2477-9792 EISSN: 2588-2422

Numéro de dépôt légal: 342-2015

Journal Of Letters And Languages

Journal Of Letters And Languages Is A Semi-Annual Journal Published By The Faculty Of Letters And Languages University Of Mohamed El Bachir El Ibrahimi Bordj Bou arréridj (Algeria), Founded In 2015.

ISSN : 2477-9792 EISSN: 2588-2422
LEGAL DEPOSIT NUMBER: 342/2015

Impact Factor ARAB (2021): 2.06
Impact Factor ARCIF (2021): 0.052
Impact Factor ASJP (2021): 0.0095

Volume (08), Issue (02) –Juin/Juillet 2022

Journal Of Letters And Languages

Journal Of Letters And Languages Is A Semi-Annual Journal Published By The Faculty Of Letters And Languages University Of Mohamed El Bachir El Ibrahimi Bordj Bou arréridj (Algeria), Founded In 2015.

ISSN: 2477-9792 EISSN: 2588-2422
LEGAL DEPOSIT NUMBER: 342/2015

Honorary President: Prof. Bouazza Boudarssaia The Rector of the University.
Director of publication: Dr. Boualem rezig The Dean of the faculty
Editor-In-Chief: Prof. Rabah Benkhouya. Dr. Djemaa Bensalem

Editorial Board

Prof. Rabah Benkhouya	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Dr. Boualem Rezig	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Prof. Abed Elghani Benchikh	University Of Msila	Algeria
Prof. Ahmed Wisse	University Of El Bahrin	El Bahrin
Prof. Ezzdine Djlaoudji	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Prof. djomoa Bensalem	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Prof. Faycel Hacid	University Of Batna 2	Algeria
Dr. Yassin baghora	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Dr. Salah Guessis	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Dr. Bachir Azzouzi	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Dr. Salim Saadli	University Of Bordj Bouarreridj	Algeria
Prof. Mohamed Kaouane	ENES Constantine	Algeria
Prof. Mohammd Albdrany	Universiy Of Bosra	Irak

Scientific And Reading Committee

Pr. Rabah Ben Khouya, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr. Boualem Rezig, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dre Bensalem Djemaa, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr Yacine Baghoura, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr. Bachir Azzouzi, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr Salim Saadali, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Pr. Choukri Essaadi, Université de Tunis, Tunisie
Pr. Mohamed Ali Errabaoui, Université de Oujda, Maroc
Dre. Essaida Elharrabi, Université de Tunis, Tunisie
Pr. Mohamed Jawad Albadrani , Université de Bassora, Irak
Pr. Faycel Hassid, Université de Batna, Algérie
Pr. Abdelghani Benchikh, Université de M'sila, Algérie
Pr. Ahmed Wiss, Université d'Albahri, Bahreïn
Pr. Ghizlane Hachemi, Université de Souk -Ahras, Algérie
Dr Azzouz Zourgane, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr Nacer Maamache, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr Abdelkrim Benmohamed, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Pr. Slimane Bouras, Université de M'sila, Algérie
Pr. Mansour Bounab Abdelhak, Université de Skikda, Algérie
Pr. Azzouz Guerboua, Université de Skikda, Algérie
Pr. Azzedine Djelaoudji Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dre Nabila Mennadi, Université de Sétif, Algérie
Dre Aroua Nedjar, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dre Keltoum Soualah, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Pr. Abderrahmane Benyattou, Université de M'sila, Algérie
Pr. Elkhamsa Allaoui, Université de Constantine , Algérie
Dr. Houcine Douas, Université de Skikda, Algérie
Dre Fatima Brahimi, Université de Sidi Bel Abess, Algérie
Dre. Fatima Zohra Achour, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr. Salah Guessis, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Pr. Mohamed Meddour, Université de Ghardaïa, Algérie
Pr. Nassima Alloui, Université de Skikda, Algérie
Dre. Radhia Cherrak, Université de Barika, Algérie
Dre. Nadia Bouhdid, Université de Batna, Algérie
Dr. Mouafak Abdessamia, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Dr. Aissa Barbar, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie
Pr. Belkacem Douadi, Université de Bordj Bou Arréridj, Algérie

Publishing Terms and Conditions

1.Journal of letters and languages is a biannual (issued every 6 months), peer-reviewed, and open access journal; that receives submissions of articles in Arabic, French or English language**.**

2. **Articles submitted for publication should include the following:**

• The article should be original and new. It might neither be published in other journals, nor be introduced or presented in a symposium or a scientific meeting. It should not be part of an academic research work (Master or PhD) as well.

• The researcher must adhere to the scientific methodology, which is acknowledged in the writing of research and scientific works. It should adopt scientific objectivity when raising the problem of research and its components, and adopts scientific criticism in the presentation of issues, ideas and their discussion.

• Authors should adopt a standardized methodology for arranging search and compliance elements complying with the journal's template.

• The article should not be less than 6000 words and not more than 10,000 words, including references, margins, tables and illustrations, and pages should be numbered sequentially.

• The author should write his/her paper's summary in the three languages (Arabic, French, English), this includes a fleeting recapitulation of the subject of research, the research problem, the purpose, methodology and results of the study.

• The margins should be as follows: right 2 cm, left 2 cm, paper head 1.5 cm, bottom of sheet 2 cm, and page size cm 16 X cm 24.

• The Arabic scientific text should be written in a Simplified Arabic font, measured 14 by 20 points between the lines, the main title is Simplified Arabic15 Gras, while French or English is presented in Times New Roman font, measured 12.

• The journal reserves the right not to publish two articles for the same author in the same issue or in consecutive issues of the same year.

• The paper should include an:

- Introduction: not less than 500 words, including the definition of the subject of research and identify the problem, the definition of goals and previous studies, methodology and elements.

- The research should be divided into elements arranged in a logical methodical order, indicated by the headings and sub-titles.
- Conclusion: not less than 300 words, in which the researcher lists the findings, answers to the research questions, and recommendations that foresee the prospects of his research.

• When writing the article:

- The article should be free of spelling, grammatical and linguistic mistakes.
- Compliance with the rules of writing control through:
- Respect of the starting distance of paragraphs and very long sentences.
- Do not leave a space before the individual punctuation marks (.), Comma (,), semicolon (;), colon (:), exclamation mark (!), question mark (?), and leave a space after it if followed by a word or text.
- The scientific term and the names of flags in Arabic should be mentioned once in the research and beside it then the term is in English or French when it is first delivered. It is sufficient to write it in Arabic.
- Be aware of the works included: Quranic verses, poetic texts, names of flags, tuning in the form and graduation of Hadiths and poetry verses.
- The margins and assignments in the last dumps should be placed in the automatic insertion method, with a bibliographic list inserted in alphabetical order.

3. After confirming the article's compliance with the publishing rules, this latter should be:

a. Sent to two specialized experts.

B. In the case of conflict of interest, the article is referred to a third expert.

T. When accepting the publication of the article, the author must sign the publishing contract.

W. If the article is not accepted, the author shall be notified of the decision of the editorial board.

4. The certificate of acceptance of publication shall not be submitted without the approval of the final editorial board to publish the article.

5. The publication of the articles of the Journal shall not be permitted without the approval of the Editorial Board.

Contributions are sent through the journal's Portal:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/94

المراسلات:

رئيس تحرير مجلة الآداب واللغات

كلية الآداب واللغات جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

العناصر 34030 الجزائر

هاتف/فاكس: 00213(0)35862175

البريد الإلكتروني: *revuefll.bba@gmail.com*

موقع المجلة على منصة المجلات العلمية الجزائرية

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/94

موقع المجلة

https://fll.univ-bba.dz

***

فهرس المحتويات

افتتاحية	**08**
Deliberative assets in Arabic grammar **الأصول التداولية في النحو العربي** **سليم قزعوط، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، الجزائر**	**21.09**
The Features integrated pragmatics in the interpretations of Fadel Saleh al-Samarrai **سمات التداولية المدمجة في تفسيرات فاضل صالح السامرائي** **بلال بوزيان ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، الجزائر**	**36.22**
The significance of transformational grammar in the grammatical level of Quranic text **دلالة الجوانب التحويلية في المستوى التركيبي للنصل القرآني** **سليم مزهود، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف– ميلة ، الجزائر**	**56.37**
The advantages and disadvantages of modernity in The seventies as a model contemporary Algerian poetry: **محامد الحداثة ومآخذها في الشعر الجزائري المعاصر حقبة السبعينيات أنموذجا** **كمال لعور جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف، الجزائر**	**79.57**
Aesthetic visions in the expressions of the flags of the commentators **الرُّؤى الجماليّة في أعاريب أعلام المفسّرين** **مُيسّر عُذيمان السّاري كلّية الآداب ، وكلية التّربية – الحسكة، سوريا**	**101.80**

افتتاحية العدد

تحية طيبة، وبعد

ها نحن نقدم للقارئ العدد الثاني من المجلد الثامن من مجلة الآداب واللغات ، الذي صدر بعنوان جوان/ جويلية 2022، وقد تضمن مقالات وأبحاثا تعالج قضايا لغوية وأدبية مختلفة؛ كالتداولية والدلالة والحداثة والشعر والجماليات.

وتعد المجلة بنشر المقالات والأبحاث التي وصلت إلى بريد المجلة في أعدادها المقبلة، بعد انتهاء إجراءات التحكيم والمراجعة .

كما تدعو المجلة إلى احترام قواعد النشر في المجلة المعلن عنها تفاديا لرفض المقالات. وتدعو الباحثين إلى المشاركة في المجلة من خلال أبحاثهم ومقالاتهم المتوافقة وتخصصات المجلة.

ونعلم القراء الكرام أن كل أعداد المجلة متاحة على المنصة من خلال الرابط:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/94

نجدد الشكر دائما لمن أسهم في صدور هذا العدد. من خبراء وباحثين.. وإلى الملتقى مع العدد القادم.

هيئة التحرير